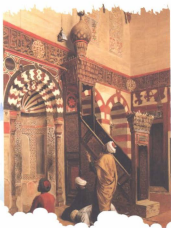


فوزي آل سيف

صفحات من

السلامة النبوية للشيخ



صفحات من

التبليغ السني للشيعة

فوزي آل سيف

صفحات من

التبليغ السني للشيعه

مُحْفُوظٌ جَمِيعُ حَقُوقِ

الطبعة الأولى

٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ

هوية الكتاب:

* الكتاب: صفحات من التاريخ السياسي للشيعة.

* المؤلف: فوزي آل سيف.

* الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

- ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴾ (١)
- الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِیْنَ (٢)
- الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ (٣)
- مَا لِكِ یَوْمِ الدِّیْنِ (٤)
- إِیَّاكَ نَعْبُدُ وَإِیَّاكَ نَسْتَعِیْبُ (٥)
- اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِیْمَ (٦)
- صِرَاطَ الَّذِیْنَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ
- غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَلَا الضَّالِّیْنَ ﴿ (٧) ﴾

— |

| —

— |

| —

المحتويات

مقدمة وتمهيد.....	١١
الصحوة الشيعية ليس موجهة ضد فئة:.....	١٣
مكونات الهوية الشيعية.....	١٩
الآثار المعاكسة للهوية المزورة:.....	٢٣
محاربة الحكومات للهوية الشيعية.....	٣٣
الأشكال متعددة والغاية الإلغاء للهوية:.....	٣٣
عدد الشيعة في العالم.....	٣٧
تاريخ الشيعة في العراق.....	٥١
من عاصمة الإمام إلى الحوزة العلمية.....	٥١
١- الكوفة:.....	٥٢
كيف نجمع بين هذا وبين أحاديث الذم للكوفة؟.....	٥٦
وجوه الجمع المحتملة:.....	٥٩
الكوفة في عهد الحسين والسجاد <small>عليهما السلام</small> :.....	٦٠
الكوفة في عهد الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> :.....	٦١
٢- بغداد:.....	٦٢
بغداد أيام البويهيين:.....	٦٣

٦٥	٣- النجف والحلة:
٦٦	المغول والشيعة:
٦٦	العراق بين الصفويين والعثمانيين:
٦٨	البريطانيون ومفاجأة أكثرية الشيعة:
٦٩	العوامل التي أدت إلى تشيع العشائر:
٧٢	البريطانيون يعاقبون الشيعة:
٧٥	الشيعة وفترة الانقلابات على الملكية:
٧٧	تاريخ الشيعة في لبنان
٧٧	نظريتان في بداية التشيع
٧٩	قبيلة همدان الشيعية
٨٠	شيء عن إسلام اليمن ودور همدان:
٩٠	منتصف القرن الرابع: طور وضوح الحالة الشيعية:
٩١	دولة بني عمار في طرابلس:
٩٢	علماء على مستوى الطائفة وعوائل علمية:
٩٤	الشيعة يواجهون المغول في البقاع:
٩٥	القرن الثامن ومرجعيات شيعية:
٩٩	القرن العاشر قرن التوتر:
١٠١	أواسط القرن الحادي عشر ودولة في طرابلس:
١٠١	الفرنسيون والشيعة في العصر الحديث
١٠٢	الشيعة والنهوض الجديد:
١٠٥	تاريخ الشيعة في إيران

- المرحلة الأولى: الموالي والتشيع السياسي: ١٠٦
- المرحلة الثانية: هجرة أشعرية: ١٠٩
- المرحلة الثالثة: مجي البويهيين: ٣٢٠-٤٤٧هـ ١١٤
- المرحلة الرابعة: بدايات القرن الثامن، الشيعة في زمان المغول: ١١٥
- المرحلة الخامسة: الدولة الصفوية بدايات القرن العاشر: ١١٨
- استنتاجات: ١١٩
- تاريخ الشيعة في القطيف والأحساء ١٢٣
- نصرة عبد القيس لأمير المؤمنين عليه السلام: ١٢٧
- شهداء عبد القيس في معركة كربلاء: ١٣١
- عبد القيس في خط الصادقين عليهم السلام: ١٣٢
- العيونيون يهزمون القرامطة: ١٣٤
- التعاون مع العثمانيين لصد البرتغاليين ١٣٧
- من مشاكل النهوض في مجتمعنا الشيعي ١٤٧
- ١- الشيعة بين واقع الأقلية وثقافة الأقلية ١٥٤
- قرانيا: القلة ليست شتيمة ١٥٦
- المشكلة: الثقافة الأقلوية ١٥٨
- أبعاد هذه المشكلة ١٦٠
- ٢- تضخم الشعور بالظلمية وآثاره السلبية ١٦٤
- الآثار السلبية للفكرة الخاطئة ١٦٨
- ٣- المثالية (غير الواقعية) في العمل السياسي: ١٧٤
- بين المثالية والمبدئية ١٧٨

١٨٠	٤- القدرة على صناعة القيادة:
١٨٢	صفات المجتمع صانع القيادات
١٨٧	شتان بين الموقفين
١٩١	مصادر الكتاب

مقدمة وتمهيد

شهدت العقود الثلاثة الأخيرة من القرن المنصرم تحولا مهما في الوضع الشيعي على مستوى العالم لاحظته المراقبون وتوقفوا عند دلالاته. بعضهم عبر عنه بـ (صحوة الشيعة) وآخرون تحدثوا عن (انبعاث) الطائفة، وبعضهم عن صحوة المستبَعدين.

فعلى المستوى السياسي تحقق لهم لأول مرة دولة قائمة على أساس ديني بقيادة علماء دين بعد ثورة استطاعت القضاء على النظام الشاهنشاهي الموالي للغرب. وقد نختلف أو نتفق في تفاصيل ما يجري على الساحة الإيرانية، غير أن بقاء هذه الثورة لمدة ثلاثين سنة، قدمت خلالها نموذجا في المواءمة بين قيم الدين وأحكامه من جهة وبين متطلبات الدولة الحديثة من جهة أخرى يُعد انجازاً مهماً.

وفي تجربة المقاومة للعدو الإسرائيلي قدم الشيعة اللبنانيون مثالا طيبا، استطاعوا فيه إسقاط فكرة الجيش الذي لا يقهر والذي عملت إسرائيل باستمرار على تكريسها بالقول والفعل.. فقد خرج الإسرائيليون مرغمين تحت وطأة الضربات المتتابعة التي وجهتها لهم المقاومة في سنة ٢٠٠٠ في مشهد أثار الكثير من المعاني والتداعيات، وعندما حاولوا أن يعيدوا شيئا من الثقة بجيشهم، إذا بهم يواجهون قوة أسطورية تتصدى لهم، وكان أقصى غاياتهم أن يقنعوا من الغنيمة بالإياب

من (بنت جبيل) ووحول الجنوب!، ولكي لا يرجعوا بالفضيحة فقد صبوا جام غضبهم على البنايات والعمارات والمدنيين، فكانت فضيحة أخرى أعظم في عام ٢٠٠٦م.

وفي مجال آخر خاض الشيعة تجربة يعتقد بأنها أكثر نضجا وهي التجربة العراقية الحديثة، فبالرغم من خروجهم من حالة الاضطهاد والمظلومية التي استمرت معهم عقودا كثيرة حرموا فيها من حقوقهم الأساسية، ومورس تجاههم الإقصاء بل العنف والتكيل بصورة البشعة وكان يتوقع أنهم مع خروجهم من تلك الحالة في صورة الغالبين المتمكنين أن يبدأ تيار الانتقام والإقصاء المقابل، إلا أنهم تغلبوا على تلك الحالة -بفضل قياداتهم الدينية التي وقفت بقوة أمام هذا التوجه-.

وأصروا على مشاركة المكونات الأخرى في المجتمع العراقي، كما احتكموا -بالرغم من الأوضاع الأمنية والشحن النفسي- إلى صناديق الانتخابات، في نحوٍ يذكر بالانتخابات الحرة التي تجري خارج بلاد المسلمين عادة!.

كما أننا نشهد توجها متوازنا نحو الفعل السياسي في أكثر من منطقة من مناطق الشيعة، ومحاولة المشاركة السياسية بعدما كان هذا الأمر غير محسوم على المستوى النظري والفكري، فضلا عن الممارسة العملية..

ولاشك أن مثل هذا التوجه -بعد مرور مقدار من الوقت- سيكون له أثر كبير في إندماج الشيعة في أوطانهم، وخروجهم من التغييب والتهميش والإقصاء الحاصل له.

إن خروج الشيعة من حالة الانتظار السلبي والانفعال إلى

مرحلة الفعل والدور يعد من أهم تلك العلائم التي تشكل الصحوة الشيعية..

الصحوة الشيعية ليس موجهة ضد فئة:

مما يؤسف له أن قسما من أبناء الأمة تعامل مع هذه الصحوة والنهضة تعاملًا طائفيًا غير مبرر، وكأنها موجهة ضد الطوائف الأخرى في الأمة، فبدأ بالتشويش عليها والتهويل مما وصفه بآثارها السلبية.. وهذا التعامل شمل السياسيين وقسما من المفكرين، ومن الطبيعي أن الجمهور سيسلك نفس الطريق هذا.

لقد أصبحنا نشهد في الإعلام عبارات عن خطورة (الهلل الشيعي)، وعن التخوف من الشيعة في مناطقهم المختلطة لأن ولاءاتهم خارجية وارتباطهم ليس بوطنهم!

إننا نعتقد أنه كان ينبغي أن يرحب المسلمون من الطوائف الأخرى بالصحوة الشيعية تلك والقوة الناهضة، وذلك لأن قوة أي جزء من أجزاء الأمة سيعود بالقوة على الأمة ككل.

لم يأخذ الشيعة مواقع غيرهم من الطوائف، أو يستقروا عليها وإنما الذي حصل هو أنهم صاروا أقوى وأغالبين في وجه أنظمة مرتبطة بالاستعمار الخارجي كما هو الحال في مثال الثورة الإسلامية في إيران، أو في وجه أنظمة علمانية لا ترتبط حقيقة بطائفة من المسلمين كما هو مثال الحالة العراقية، أو أنهم واجهوا إسرائيل وهي عدو الجميع.

فكان الصحيح أن يتم الترحيب بهذه الصحوة والغلبة.

نعتقد أن توجه الشيعة إلى المشاركة السياسية والاندماج ضمن

المكونات الوطنية والدخول في المعادلة السياسية هو أمر مهم ومفيد لجميع المسلمين، إذ أنه ينظم العلاقات بين طوائف المسلمين على أساس معقول، ويتيح لكل فئة أن تتخذ خياراتها ضمن قدراتها وحجمها الواقعي.

إن من الطبيعي هنا أن يتم الاستقطاب بين التوجهات الموجودة في الأمة، تجاه الجمهور فيحاول كل فريق سياسي أو حتى مذهبي أن يستقطب له أنصاراً ومؤيدين.. وهذا ما نفخ في قريته -مع الأسف- قسم من الدعاة والعلماء مهولين ومخوفين فيه من التبشير الشيعي، ومتنادين لوقفه، بل محرضين للحكومات والسلطات ضده!

لقد تم الحديث في هذا الموضوع، مع الأسف، بنفَس إقصائي، فهو يعتبر أن تحول شخص ما أو فئة إلى مذهب التشيع هو نوع من أنواع الاختراق الخطير، غير المقبول والذي يهدد النسيج الاجتماعي لوحدة المسلمين أو أنه يمهد للفتنة الداخلية.. إلى غير ذلك مما ذكر.

ونحن نعتقد أن هذه الصحوّة وهي شأن داخلي بالدرجة الأولى، حصلت عندما توجه الشيعة إلى أهمية تصحيح قسم من الأفكار السائدة، وتعديل بعض الممارسات القائمة، الأمر الذي أنتج بمجموعه ما قدمنا ذكره.. وحيث أن الشيعة ليسوا فئة معزولة جغرافية بل هي متداخلة مع أبناء الطوائف الأخرى، ومع ملاحظة سهولة التواصل وتبادل التأثير في ظل عولمة الاتصال والمعرفة.. حدث تحول في صفوف بعض المسلمين تجاه مذهب أهل البيت.. مثلما يحصل عادة من تأثر بعض المجتمعات بوجود حركة أو حزب عامل.. حتى لو لم يكن في نظر تلك الحركة أن تؤثر في المجتمع، فإن قانون المجاورة يقتضي ذلك.

إن ما لاحظناه هو قيام الأنظمة السياسية باستغلال هذه الشعارات لتصفية حساباتها مع دول محسوبة على الشيعة، ومع قيادات شيعية، بل ومع مواطنيها الشيعة الذين أصبحوا متهمين بالارتباط بالخارج حتى تثبت براءتهم ولن تثبت! أو متهمين بالاختراق للمجتمعات غير الشيعية وسيكون التشيع ونشر فكر أهل البيت عندئذ من أدلة الجريمة والاثام!.

لقد سعى هؤلاء إلى محاصرة التشيع حتى مناطقه، بأنه وافد حديث العهد، وبأنه حالة سياسية لا ترقى إلا إلى عدة عقود من الزمان، حتى لقد قال بعضهم إن الشيعة عليهم أن يرحلوا من بلاد العرب إلى الأماكن التي جاؤوا منها!.

سوف يتبين من خلال استعراض سريع أن (الشيعة العرب: هم المسلمون المنسيون) كما عنون أحدهم كتابه، وأنهم أصل التشيع، فتاريخهم يرجع إلى أعرق القبائل العربية كهمدان وعبد القيس، بل إن تشيع إيران كان هدية العرب إلى الإيرانيين!.

في هذه الصفحات التي كانت في الأساس محاضرات ألقيت في موسم محرم ١٤٣٠هـ، سوف يتم الحديث عن بعض مكونات الهوية الشيعية، لاختصار الطريق على من يريد التعرف على أهم ميزات وصفات التشيع، وذلك أن من أسوء الحالات التي يعيشها الشيعة في علاقتهم مع غيرهم هو تنميطهم بنمط واحد وسيء من قبل الآخرين، فإذا تم الحديث عن الشيعة فهذا يعني عند هؤلاء: سب الصحابة، وتحريف القرآن، والتقية (بمفهومها الخاطيء)، والغلو في علي وأهل بيته! سوف يحاول الحديث مع اختصاره أن يبين أهم مكونات تلك

الهوية، بغض النظر عن قبول الآخرين لها، فليس مطلوباً أن يقبلني الآخرون، ولكن أن يفهموني كما أنا.. لا أن يصطنعوا لي صورة غير حقيقية ثم يتعاملوا معي على أساسها!.

وقد تم الحديث عن الشيعة في العالم، ومع أن الأكثر يجب أن يعرف عدد الشيعة الدقيق على مستوى العالم إلا أن المقال يتطرق إلى دلالات التنوع الجغرافي والعرقى واللغوي وتاريخ حكم الشيعة للبلاد الإسلامية.

كما تم التطرق إلى تاريخ التشيع والشيعة في أربع مناطق تتمتع بأهمية استثنائية ففي استعراض سريع تمت متابعة نشوء التشيع في العراق بدءاً من تمصير الكوفة وتحول الإمام علي إليها فيما بعد، إلى أن تحول العراقيون في أكثريتهم إلى المذهب في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

ولبنان التي تحول فيها الشيعة اليوم إلى ما يشبه بيضة القبان، كان لهم تاريخ يبدأ من هجرة الهمدانيين من الكوفة.

كما تم الحديث عن تاريخ التشيع في إيران، وتبين فيه كيف أن التشيع في مختلف مراحل وصل وانتشر في إيران بواسطة الرواة والعلماء العرب الذين قدموا من الكوفة أولاً ثم لبنان والبحرين ثانياً.

وفي الاستعراض التاريخي تم الحديث عن التشيع في القطيف والأحساء والذي بدأ مع إسلام عبدالقيس في حوالي السنة السادسة للهجرة.

وأخيراً كان هناك عرض لبعض المشاكل التي يتبلى بها المجتمع

الشيوعي، ويلاحظ أن زاوية النظر هنا هو مجتمعنا الشيوعي في القطيف والأحساء، وإن كانت ربما توجد بدرجة أو أخرى في غيره من المجتمعات الشيعية..

ولا أنسى أن أشير إلى أنه ربما نشر بعضها سابقا بشكل منفصل. يلاحظ أن الكتاب هذا موجه إلى الطبقة الشابة متوسطة الثقافة، ولذلك فهو يعالج المسائل المذكورة ضمن لغتهم قدر الإمكان بعيدا عن الحديث التخصصي. أسأل الله سبحانه أن يوصل هذا الكتاب رسالة إيجابية لمن يقرأه.. والله ولي التوفيق.

فوزي محمد تقي آل سيف
تاروت، القطيف
شرق المملكة العربية السعودية
١/٣/١٤٣٠هـ.

— |

| —

— |

| —

مكونات الهوية الشيعية

يعرّف باحثون العصر الحديث بأنه عصر انبعاث الهويات، بل تفجرها في صور لا يخلو بعضها من العنف.

لقد قامت دول جديدة معتمدة على هذا الانبعاث، كما انتهت دول كانت جامعة لشعوب مختلفة، وما ذلك إلا لأن عناصر تلك الشعوب تبحث عن هويتها الخاصة بعد أن قمعت في ظل تلك الدول الجامعة (أو القامعة للهوية الخاصة)، والمثال الأوضح في عالمنا المعاصر هو: تفتت الاتحاد السوفيتي سابقا واستقلال الجمهوريات المكونة له عن روسيا، واتخاذها منهجا يحقق هويتها الخاصة كالإسلام دينا، أو العرق الخاص، بل وجدنا الأمر وصل إلى تحدي بعض الدول المستقلة للدولة الأم إلى حد الحرب بينهما كما في مثال (جورجيا وروسيا).

والمثال الآخر: سعي المسلمين في البوسنة والهرسك لتحقيق هويتهم الخاصة بعد الاستقلال عن اتحاد يوغسلافيا.

إن «كثيرا من الباحثين الغربيين الذين راقبوا تفجر الصراعات القومية والمذهبية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م، مالوا إلى تفسيرها بأنها تعبير عما وصفوه بانفجار الهوية. ويقدر عدد المجموعات الإثنية التي عبرت عن نفسها سياسياً بما يزيد عن ٣٠٠٠ في مختلف

أنحاء العالم، مقارنة بنحو ٩٠٠ مجموعة في أواخر سبعينات القرن العشرين. ويقدر عدد الحركات الانفصالية التي قامت في هذا الإطار بنحو ٦٠٠ حركة خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

وخلاصة هذا التفسير أن مجموعات متميزة إثنياً اضطرت سنوات طويلة إلى كبت هويتها أو خضعت لإدماج قسري في ثقافات أخرى مهيمنة، أو أنها لهذا السبب أو غيره كانت غافلة عن هذه الهوية ودورها في تشكيل رابطتها الاجتماعية وشخصيتها المتميزة. لكن مع زوال الهيمنة -بتفكك الدولة السوفيتية مثلاً-، أو بسبب انفجار ثورة المعلومات والاتصال (انتشار التلفزيون الفضائي، الإنترنت، التلفون المحمول) أو بسبب انتشار مفاهيم حقوق الإنسان والحريات الشخصية والمدنية والمشاركة، أو لهذه الأسباب مجتمعة، اكتشفت تلك المجتمعات ذاتها الخاصة، أو اكتشفت أنها تتعرض للتمييز أو قلة التقدير لأن الآخرين لا يعاملون أعضاءها بوصفهم مواطنين متساوين مع البقية في الحقوق والواجبات، بل بوصفهم جزءاً من جماعة مختلفة، كما هو حال المسيحيين واليهود في بعض البلاد المسلمة والأكراد في البلدان العربية، والشيعية في البلدان التي أغلبتها سنية والسنة في الأقطار ذات الأغلبية الشيعية وهكذا»^(١).

الشيعية جزء في هذا العالم ويريدون التعبير عن هويتهم الخاصة، وتعريف العالم بها، بدلاً من أن يقوم الآخرون بتعريفهم.. فإن تقديم هوية مخالفة من قبل الشخص يعتبر تزويراً، فكيف يكون الأمر حين تقدم هوية كاذبة عن مجتمع يقدر بمئات الملايين؟

(١) السيف؛ د. توفيق: مقال في مجلة الكلمة، عدد ٥٩، النسخة الإلكترونية ١٤/٦/٢٠٠٨م.

الصورة الكاذبة التي عرّف الشيعة بها للآخرين هي هوية مزورة (شملت العقائد والأخلاق والتكوين الجسدي فهم (!) في ليلة الطفية كما زعم مخالفوهم يختلطون رجالا ونساء ويزني بعضهم ببعض! وهم ليسوا كخلقة باقي الناس بل كل شيوعي يحمل ذيلا في مؤخرته! كالحوانات وهم سيئو الأخلاق فلا ينبغي أن تؤاكلهم لأنهم يبصقون في الطعام والشراب الذي يقدمونه إلى غيرهم!! وهكذا ينتج الخيال المريض المعادي ما شاء من الصفات الكاذبة..

ولنأخذ بعض هذه الكلمات المنشورة في كتب مطبوعة بأموال قدرة سياسيا، فهذا ابراهيم بن سليمان الجبهان يقول في كتابه في تبديد الظلام^(١):

* «قد لا يصدق القارئ الكريم أن نكاح الأم عندهم هو من البر بالوالدين، وأنه عندهم من أعظم القربات».

* «يمد الشيوعي إليك يده مصافحاً، ولكن ليشغلك عن اليد الأخرى التي امتدت إلى جيبيك».

* «كل من يولد في أيام عاشوراء فهو سيد، وكل من حملت به أمه في أيام عاشوراء فهو سيد حتى ولو كان حملاً غير شرعي».

وإذا كنا سنعطي بعض العذر للمؤلفين السابقين الذين كتبوا عن التشيع في وقت لم تكن مصادرهم الروائية أو العقديّة متوفرة للباحثين، مثلما قال المقرئزي: «ومن فرق الروافض الحلوية والشاعية والشريكية يزعمون أن عليا شريك محمد ص والتناسخية القائلون ان الأرواح تتناسخ واللاعنة والمخطئة الذين يزعمون أن جبرئيل أخطأ والإسحاقية والخلفية الذين يقولون لا تجوز الصلاة خلف غير الإمام

(١) نقلا عن الحقيقة الضائعة للشيخ معتصم سيد أحمد ص ٢٣٣.

والرجعية القائلون سيرجع علي وينتقم من أعدائه والمتربصة الذين
يتربصون خروج المهدي والأمرية والجبية والجلالية والكريية اتباع أبي
كريب الضرير والحزنية اتباع عبد الله بن عمر الحزني»^(١).

أو نتفهم أن يقوم مستشرق أجنبي بذكر كلمات سيئة عن التشيع،
ضمن أجواء الصراع بين المسلمين والمسيحيين، فما لا نتفهمه هو أن
يقوم بعض المسلمين بأخذ كلمات ذلك المستشرق وكأنها آية منزلة أو
سنة محكمة، ويتناقلونها ويفصلون فيها ويخطون!.

فهذا «وليم الصوري، أهم المؤرخين المسيحيين للحملات
الصليبية في القرن الـ١٢ الميلادي، الذي كان له دور مؤثر في نشر صورة
سيئة عن الشيعة، حين نسب إليهم الاعتقاد بخطأ جبريل في تبليغ
الرسالة وأنها قام بإيصالها إلى محمد بن عبد الله بدلا من تكليفه الأصلي
بإيصالها إلى علي بن أبي طالب!.

كما يعتبر جوزف جوبينيو أهم من ربط بين التشيع وديانات فارس
ما قبل الإسلام. ففي كتابه (ثلاث سنوات في آسيا) يرجع جوبينيو مبدأ
تبجيل الأئمة إلى تقديس كهنة الزرادشتية. كما اعتبر جوبينيو في كتابه
(ديانات وفلسفات آسيا الوسطى) الفكر الشيعي حركة انشاقية وثأرا
مبطناً لـ(الاحتلال العربي لأرض الفرس)»^(٢).

فهل يمكن أن يُتفهم كلام (الدكتور) أحمد أمين المصري في كتابه
فجر الإسلام عندما يقول: «والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل

(١) نقله عنه السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة ١ / ٢٣: أقول: لا شك في أن بعض
هذه الفرق التي يذكرها لم توجد إلا في ذهن المقريري ولا وجود لها في مكان آخر!.

(٢) مجلة المعرفة ٢ / ١ / ١٤٢٨ هـ، في موقع الجزيرة نت.

من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا»^(١)؟.

ومع اعتذاره بعدم وجود المصادر عندما عوتب في زيارته للنجف، كما نقل ذلك الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وهو (عذر أقبح من ذنب) إلا أن مثل هذه النتيجة التي توصل إليها لم تكن تحتاج إلى مصادر، وإنما هي رأي، بل تحريض للحاكمين على شيعة أهل البيت!

الآثار المعاكسة للهوية المزورة:

غير أنه كان لهذه الهوية المزورة بعض النتائج المعاكسة لإرادة ناشريها، حيث دفعت الكثير من الناس إلى التفتيش عن الشيعة والتشيع، ولقد قال أحد المتابعين لحركة التحول المذهبي في مقابلة معه بأن أحد الأسباب الرئيسة للتحول المذهبي هو الكذب على الشيعة، بزعم أن لديهم قرآنا خاصا، وأنهم مخلوقون بشكل خاص، وأنهم سيئو الأخلاق وأنهم.. وأنهم، فإذا عايش غير الشيعة الإنسان الشيعي ورأوا فيه خلاف ما قيل فإن ذلك يزعزع كل التعبئة المخالفة له، ويدعوه إلى التعرف والاطلاع على العقيدة الشيعية..

أقول: الشاهد على ذلك هو قصص المتحولين مذهبيا والمنشور منها غيظ من فيض وكأن الشاعر جعل هذا المثال أمامه تماما عندما أنشأ قوله:

(١) فجر الإسلام ص ٢٧٦

أتيت سروري إذ أردت مساءتي

وقد يحسن الإنسان من حيث لا يدري
ولو أردنا أن نذكر أمثلة كثيرة لكان ذلك يسيراً، لكنه يخرج بنا
عن أصل الحديث، وإنما نريد الإشارة، فلنذكر مثال: الشيخ حسين
الكاف من اندونيسيا وهو معاصر وله صفحة على موقع دليل الحق
في الانترنت، حيث كانت بدايات اطلاعه على التشيع من خلال كلام
صاحب التحفة الاثني عشرية المتعصب في كلامه ضد الشيعة.. فبعد أن
انتهى من المعهد الديني، قال له استاذُه بأن من أراد أن يكون عالماً فلا
بد أن يقوم بتوسيع دائرة معارفه وعدم الإكتفاء بدراسة المذهب الذي
يرثه الإنسان من آبائه، فلهذا بادر بعد اتقانه لمباني واسس مذهب الإمام
الشافعي إلى مطالعة كتب باقي المذاهب الإسلامية.

فسأل عن الكتاب الذي يستطيع من خلاله أن يتعرّف على
مذهب التشيع، فحذروه ثم أرشدوه إلى قراءة كتاب (التحفة الاثني
عشرية) تأليف الشاه عبد العزيز الدهلوي.

يقول الأخ حسين: تناولت الكتاب فالفيت كاتبه معادياً للتشيع،
بحيث دفعه هذا الأمر إلى الخروج عن حد الاعتدال في تقييمه لهذا
المذهب ووجدته ينسب للشيعة آراء شاذة بحيث يستنفر منها العقل من
قبيل القول بألوهية علي بن أبي طالب أو نبوته أو خيانة الأمين جبرائيل
في إعطاء الرسالة الإلهية وغير ذلك..

هذا الأمر جعله يفتش عن الشيعة من مصادرهم الأصلية لا
كما يقرؤها مخالفاً فهم، وانتهى به الأمر إلى ركوب سفينة أهل البيت
ومشايعتهم..

إنه إذا كان يمكن أن تغطي الحقائق في وقت سابق، فإن التطور التقني الذي حول العالم إلى قرية واحدة يتجول الإنسان في أزقتها بفضل الانترنت، ساعة يشاء وبالنحو الذي يريد.. جعل من تغطية الحقائق وسيلة غير نافعة أبدا.

على أي حال كان ما سبق شيئا عن الهوية المزورة التي قدمت عن الشيعة والتشيع، وبعض آثارها المعاكسة..

فما هي مكونات الهوية الشيعية؟

المقصود من مكونات الهوية هنا هو: العلامات التي تترافق مع وجود الكيان المحدد، سواء منها العقديّة أو الاجتماعية.. ولهذا فإنه لا تدخل فيها بالضرورة الأمور التفصيلية، كـبعض المسائل الفقهيّة أو العقديّة (كالمتعة، والرجعة). وبمعنى آخر هي تلك الإشارات التي يتعرف من خلالها وجودها في مجتمع على وجود أصحاب هذا المنهج.

فمن تلك المكونات:

١- الإيمان بالإمامة المنصوصة المعصومة: يتميز شيعة أهل البيت الإماميون باعتقادهم باثني عشر إماما معصوما (أولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم محمد بن الحسن العسكري)، قد تم النص عليهم وتعيينهم من قبل النبي ﷺ وهو في ذلك مبلغ عن ربه، وقد أقام علماء الشيعة الأدلة الكافية من العقل والنقل على هذا الأمر وألفوا فيه الكتب^(١).

(١) لمن أراد التفصيل يمكنه مراجعة: الشافي في الإمامة للشيخ المرتضى، والألفين في إثبات إمامة أمير المؤمنين للعلامة الحلي ومنتخب الأثر للشيخ لطف الله الصافي، وفي رحاب العقيدة للسيد محمد سعيد الحكيم.. وغيرها من الكتب.

ولذلك فلا معنى لاحتمال فراغ قيادي في هذه الجهة لأن القضية محسومة سلفاً، والأشخاص معينون مسبقاً ومعروفون.. وليست هناك حالة انتظار لانتخاب شعبي مثلاً أو خروج بالسيف أو غير ذلك.. ف: « الْحُسْنُ وَالْحُسَيْنُ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا »^(١).

ولا يقصد من الإمامة هنا تولى الحكومة، فإن علماء الإمامية يفصلون بين أصل النصب الالهي لمقام الإمامة وبين الممارسة الخارجية للحكم.. فقد تجتمع الحالتان كما حصل للإمام علي بن أبي طالب في السنوات الخمس الأخيرة من عمره حيث بويع بالخلافة الظاهرية، وكان إماماً قبل ذلك منذ وفاة النبي محمد ﷺ. وقد تنفصل كما هو الحال بالنسبة لباقي الائمة عليهم السلام، غير أن ذلك لا يؤثر في الإمامة الإمام..

ولو أردنا أن نمثل مثلاً عرفياً تقريباً لفهم الأمر، في قضية المرجعية فقد تجتمع الفقاهاة والمرجعية مع قيادة البلد الفعلية كما في حال آية الله السيد الخميني مدني، وقد تنفصل المرجعية عن القيادة السياسية والخارجية كما في حال آية الله السيد الخوئي مدني، غير أن القيادة السياسية بنفسها لا تؤثر في مرجعية الشخص، فلا توفرها يعطي للشخص مرجعية أكبر، ولا افتقادها يمنع الشخص من المرجعية!

وحيث أن الإمام في منصبه مبلغ عن الله عز وجل، وقد أمر الناس بطاعته بشكل مطلق في قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، فلا بد أن يكون معصوماً، وإلا كان

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٥.

(٢) سورة النساء: من الآية ٥٩

الأمر بطاعته بشكل مطلق مع عدم عصمته واحتمال خطئه أو انحرافه
إغراء للناس بالجهل وإيقاعا لهم في المفسدة. وهي مقتضى آية التطهير،
وحديث: «لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»^(١).

وأكدت العصمة سيرتهم التاريخية التي عايشها المعاصرون لهم،
وهنا لا يحتاج الأمر إلى الاستدلال العقلي أو التعرض إلى الروايات..
فإنه لم ينقل التاريخ ولو بنخبر كاذب أن الإمام علياً عليه السلام قد ارتكب
ذنبا أو خطيئة. ومع أنه كان في مقابله أعداء حاربه كأهل الجمل
ومعاوية والخوارج، وبعضهم كالخوارج كفروه، لكن لم يقولوا إنه
منحرف عمليا! أو خائن في المال مثلا، أو مرتكب للمعاصي! وهكذا
الحال بالنسبة إلى بقية الأئمة عليهم السلام.

إن الإيمان بفكرة الإمامة المعصومة والمنصوبة هو أهم مميزات
ومكونات الهوية الشيعية فهي الفارق الأساس بين مدرسة الخلافة
ومدرسة الإمامة، أو بين الاتجاه الرسمي السني وبين الاتجاه الخاص
الشيعي. كما أنها تميز الشيعة الإمامية عن بقية الفرق الشيعية كالزيدية^(٢)
والاسماعيلية والواقفة.

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص ٤١٤.

(٢) الزيدية يؤمنون بإمامة علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين وهم إلى
هنا يتفقون مع الإمامية لكنهم بعد ذلك يجعلون الإمامة في زيد بن علي بن الحسين،
ويسلسونها في أبنائه، وهم موجودون الآن بصفة خاصة في اليمن.
أما الاسماعيلية فهم يؤمنون بالأئمة الخمسة المذكورين وبمحمد بن علي الباقر وبجعفر
بن محمد الصادق، ثم يجعلون الإمامة في ابنه اسماعيل وتتسلسل الإمامة في نسل
اسماعيل.. وهم موجودون في جنوب السعودية وشمال اليمن، وبعض أنحاء الهند.
أما الواقفة فهم الذين وقفوا على موسى بن جعفر الكاظم ولم يقبلوا إمامة علي بن موسى
الرضا، وهؤلاء كانوا فئة تاريخية لا وجود لها اليوم أصلا.

٢- الإيمان بالإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه: باعتباره الإمام الثاني عشر الموجود بالفعل، المولود في سنة ٢٥٥ هـ، وهو التاسع من ولد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب كما هو في النص الوارد، وهو المخلص والمنقذ للعالم، والمنتظر من قبل جموع المؤمنين لكي يملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

إن الاعتقاد بالمهدي عقيدة إسلامية عامة، ولكن الإيمان به بهذه التفاصيل يعد خاصية شيعية وعلى هذا الأساس تتم ممارسات عندهم في التعلق به والانتماء إليه، ودعاء الله عز وجل بتعجيل فرجه، وإظهار احترامه عند ذكره، والتعلق بالأمل المتمثل في ظهوره.. بل يؤمنون بمعاشته لهم ومناصرته إياهم، ولهذا الاعتقاد والإيمان آثار تربوية استثنائية.

وعلى هذا الأساس فلا معنى لأن يقول شخص إنه شيعي لكن لا يؤمن بالإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري بالتفاصيل المذكورة آنفاً فإن هذا مثل أن يقول شخص أنا مسلم ولكن لا أؤمن بمحمد بن عبد الله رسولا ونبياً..

الإيمان بالإمام المهدي عجل الله فرجه، نوع اعتراض على الواقع السيء، وهو مصدر للأمل في الخير والتغيير، وإيمان باستمرار التخطيط الالهي للبشر وأنهم لم يتركهم هملاً^(١).

٣- محورية القضية الحسينية:

يتميز الشيعة في كل مناطقهم بجعل القضية الحسينية محورا جامعاً وعنصراً معبراً عن وجودهم، بل هي أفضل إعلان عن الهوية

(١) للتفصيل يمكن مراجعة موسوعة الإمام المهدي بأجزائها الأربعة للشهيد السيد محمد صادق الصدر.

المشتركة والجامعة بينهم ولذا يقال: إن عاشوراء هو يوم إظهار الشيعة لهويتهم الخاصة مع أنها قد تثير استغراب الآخرين، لكن الهوية الخاصة هي هكذا.. تجمع أصحاب الهوية وتميزهم عن غيرهم..

إن لاهور الباكستانية، ولكنهو الهندية، وخراسان الإيرانية، وهالكالا التركية، وكربلاء العراقية، وباميان الأفغانية، والمنامة البحرانية، والنبطية اللبنانية، والأحساء والقطيف السعودية، كلها في هذا اليوم تتحدث بلسان واحد وإن اختلفت لغاتها، وتسير بنفس المشاعر و« لا ريب في أن مشاهد عاشوراء وأصواتها تسبي العقول قبل القلوب، فهي شعيرة زاخرة بالرمزية والعواطف الجياشة كما أنها من الطقوس الروحية والطائفية في العمق، ذلك أنها تعرف بالشيعة وتجدد ارتباطهم بمعتقدهم وبيئتهم»^(١).

شهادة الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من شهر محرم سنة ٦١ هـ في كربلاء، بالنسبة لشيعة أهل البيت عليهم السلام ليس حدثا تاريخيا انتهى بنهاية يومه، وإنما هو قضية متجددة ومستمرة في كل سنة. وتوظيف دائم لهذه الشهادة في تجديد الانتماء، وإظهار الهوية، والتشكل الاجتماعي والسياسي. ولهذا السبب ربما كانت الحرب الدائمة على القضية الحسينية وما يرتبط بها من ممارسات وشعائر منذ أيام الأمويين والعباسيين والأتراك وإلى عصر الدول الحديثة.. حيث التفت أولئك الحكام إلى الأثر الذي تصنعه تلك القضية بممارساتها وشعائرها.

٤- الارتباط بالمرجعية الدينية:

أصل الرجوع إلى الخبر والعالم مما تطابقت عليه العقول، وأكدته

(١) د. ولي نصر، صحوة الشيعة، ص ٢٩.

النصوص الشرعية، و: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾^(١)،
و﴿وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾^(٢)، و﴿فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا
حُجَّةُ اللَّهِ..﴾^(٣).

وهذا المعنى كان موجودا لا شك حتى في زمان الأئمة عليهم السلام،
فقد كان يحيلون من لا يصلون إليهم إلى فقهاء روايتهم، فهذا عبد الله
بن أبي يعفور، يقول للإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ سَاعَةٍ
أَلْقَاكَ وَلَا يُمَكِّنُ الْقُدُومَ وَيَجِيءُ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِنَا فَيَسْأَلُنِي وَلَيْسَ
عِنْدِي كُلُّ مَا يَسْأَلُنِي عَنْهُ؟».

فَقَالَ عليه السلام: مَا يَمْنَعُكَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الثَّقَفِيِّ فَإِنَّهُ سَمِعَ مِنْ
أَبِي وَكَانَ عِنْدَهُ وَجِيهًا^(٤).

وهذا عبد العزيز بن المهدي يقول للرضا عليه السلام: إِنِّي لَا أَلْقَاكَ فِي
كُلِّ وَقْتٍ فَعَمَّنْ أَخَذُ مَعَالِمَ دِينِي؟. فَقَالَ عليه السلام: خُذْ عَنِ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ^(٥).

ومثله الجواب للحسن بن علي بن يقطين.. ويسأله علي بن
المسيب: «شُقَّتِي بَعِيدَةٌ وَلَسْتُ أَصِلُ إِلَيْكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ فَمِمَّنْ أَخَذُ مَعَالِمَ
دِينِي قَالَ عليه السلام: مِنْ زَكَرِيَّا بْنِ آدَمَ الْقُمِّيِّ^(٦)».

نعم تطورت المرجعية الشيعية من صورتها البسيطة الأولى،

(١) سورة النحل: ٤٣.

(٢) سورة التوبة: من الآية ١٢٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ١٤٠.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ١٤٤.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ١٤٨.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ١٤٦.

إلى صورة أكثر تقدماً وأصبحت في مستوى قيادة الطائفة سياسياً واجتماعياً، ولم يعد الأمر مجرد رجوع في القضايا الفقهية التفصيلية وحقت إنجازات مهمة في تاريخها القديم والحديث. منها:

* في الموضوع الديني معرفة الشريعة واستنباط الأحكام (الضمانة التشريعية): وأهمية هذا الجانب واضحة، لكونه يمثل الطريق الواصل بين الله وبين العباد، وهو خلاصة جهود الأنبياء والمرسلين (على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام).

ومنها المحافظة على الكيان الإسلامي عموماً والشيعي على وجه الخصوص لكيلا يندثر، وهذا الذي جعل المجتمع الشيعي متماسكاً في هذه الجهة، بنحو لا مثيل له.. وقد ترتب النظام المرجعي خلال ألف سنة من الزمان على أساس ارتباط الناس به، من خلال الوكلاء والحوزات العلمية..

ومنها: قيادة العمل ضد الانحراف بالنحو المناسب لكل مرحلة حيث كانت المرجعية الشيعية عنصر الانقاذ الاجتماعي في مواجهة المشاكل التي ابتليت بها الأمة. واجهت تلك المشاكل بحكمة عالية، فانظر إلى ما صنعه شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي عندما كانت بغداد مهددة باحتراب داخلي، سعّره قيام بعض الطائفيين والغوغاء بإيقاد الحالة الطائفية، وأحرقت مكتبة شيخ الطائفة وكرسي تدريسه، وكان يمكن أن تحدث الفتنة فكان أن اختار الشيخ الانسحاب إلى النجف الأشرف، وبينما لم يتفهم بعض من حوله هذا القرار ورأوه انسحاباً غير مبرر، كان ذلك القرار منشأً لخير كثير ومبدأً للحوزة العلمية الدينية الكبرى في النجف.

وعندما كانت بلاد إيران مهددة من قبل البريطانيين بالسيطرة على اقتصادها، من خلال قرار سلاطينها باعطاء امتياز احتكار التبغ لبريطانيا، قام الميرزا محمد حسن الشيرازي قده الكبير بمقاومة ذلك واستطاع إلغاء ذلك بفتوى تصرح بأن استعماله يعتبر محاربة لصاحب العصر والزمان.. ومثله ما فعله الميرزا محمد تقي الشيرازي قده في مقاومته للبريطانيين في ثورة ١٩٢٠م، في العراق.

وقد شهد عصرنا حركة عظيمة للمرجعية الدينية تمثلت في الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني قده وانتصرت عام ١٩٧٩م، وأسقط فيها النفوذ الغربي، وأحل محل ذلك الحكومة الإسلامية.

واليوم نشهد حركة عظيمة تبين دور المرجعية الشيعية في حياة هذا المجتمع، ما حدث في النجف الأشرف حيث أقدمت المرجعية الدينية ممثلة في آية الله السيد السيستاني (حفظه الله) على إخراج الجميع من المأزق الصعب.

هذا الارتباط بالمرجعية الدينية يجعل المجتمع الشيعي محدد القيادة غالباً، فيقطع الطريق على المغامرين الذين يتطلعون لقيادة الطائفة، ولذلك قال صاحب كتاب (الشيعية العرب): «إن مشكلة الليبراليين في المجتمع الشيعي أنهم لا يستطيعون أن يكون بديلاً عن القيادة الدينية له، لأن المجتمع مبني على هذا الأساس»^(١).

لا نعرف في مجتمع من مجتمعات المسلمين، ارتباطاً قوياً بهذا النحو الذي يرتبط فيه الشيعة بمرجعياتهم الدينية.

(١) فولر جراهام: الشيعة العرب: المسلمون المنسيون.

محاربة الحكومات للهوية الشيعية

لماذا تعارض الحكومات المتعاقبة على بلاد المسلمين العزاء على الحسين؟ ولماذا تخالف الاعتقاد بالإمامة؟ ولماذا لا يعترف بالمذهب في أحكامه الفقهية بالنسبة لأتباعه؟ وما الذي يضر الحاكم لو أن تقسيم الارث كان بهذه الصورة؟ بدون عول أو تعصيب؟ وماذا يؤثر في سلطانه لو أن الناس بكوا على الحسين أو لبسوا السواد؟.

ولماذا تجد هذا الأمر في أكثر فترات التاريخ؟ جاء الأمويون ومنعوا ما يرتبط بالحسين، وجاء العباسيون، ثم الأتراك، ثم الدول الحديثة في العالم الإسلامي.. لا تنظر بعين الود إلى هذه الأمور؟.

القضية أبعد من ذلك..

القضية هي سعي الحكومات لإلغاء الهوية التي تعبر عنها هذه الممارسات!.

تزعم الحكومات أن الخصوصية عامل تفتت فتسعى لإلغاء الخصوصيات حتى يكون الجميع بلون واحد! (المشكلة أنها تفرض خصوصيتها على الآخرين!!).

الأشكال متعددة والغاية الإلغاء للهوية:

١ - رفض الفقه والمذهب: المفارقة أن الشيعة يسمون بالرافضة بينما هم في الواقع المرفوضون من قبل السلطات! وإلا ماذا يعني أن يمنع الإنسان من التعبد بالطريقة التي يراها صحيحة! ماذا يعني عدم الاعتراف بمذهب يدين به ما لا يقل عن ٢٥٪ من المسلمين؟ الامم في

عالمنا اليوم تتحد وتجتمع لتتحول إلى قوة كبيرة، ونحن نسلخ من أمتنا ما يقارب ٤٠٠ مليون مسلم، فنقول لهم لا نعترف بكم!

«لقد ساهم الشيعة في تأسيس باكستان، بحماسة فقد دعم الآقا خان، والتجار الكبار التحول، حتى أن مؤسس باكستان (محمد علي جناح) كان شيعيا اثني عشريا وكانوا يشكلون ٢٠٪ من سكانها (أي ٣٠ مليون)، وذو الفقار بوتو كان شيعيا، وبعد أن تمكن هذا ضمن عملية ديمقراطية، حدث انقلاب عسكري عليه من قبل ضياء الحق وضباط آخرين وأعدم، تحت تأثير متطرفين دينيين، ورجع الشيعة إلى المربع الخلفي الهامشي.. بل تمت محاولة فرض المذهب الآخر (الحنفي) على الشيعة في أحوالهم الشخصية ومواريتهم ونكاحهم»^(١)!

ماذا يعني الدمج القسري، وإلغاء الثقافة الخاصة؟ ومتى كانت تنفع؟ لو نفعت في مكان لنفعت في الاتحاد السوفيتي السابق مع المسلمين!! ولنفعت في العراق بعد أجيال من القهر والقسر، ها هو الحسين يحشد ملايين البشر مشاة إليه!

٢- منع الشعائر والمواسم: لقد كان كل شيء يشير إلى الحسين ممنوعا في بعض الفترات! الأمويون، ثم العباسيون، ثم الأتراك، ثم الدول الحديثة، والتي بنى بعضها على أسس علمانية والمفروض أنها لا شأن لها بالقضية الدينية لكن الأمر إذا وصل إلى هذه الجهة وجدتهم يصبحون أكثر طائفية من الطائفيين.

٣- إثارة الغبار والشبهات حول المرجعية الدينية وحول الرجوع إليها: فقد أثار الأعداء قضية الولاء الوطني في وجه من كان

(١) نصر، ولي: صحوة الشيعة، ص ٨٠.

يؤمن بالمرجعية الدينية ويبدو أن البريطانيين هم أول من أثار أعجمية المراجع لما قاموه.. وبطبيعة الحال لم يكن البريطانيون ليقبلوا بالتفاف الناس حول مرجعية عربية، ولكن يقضون على المراجع غير العرب بهذا الاسم ويضيقون الخناق على المجتهدين العرب باسم آخر!!.

ومن ذلك أيضا الاتهام بالفساد المالي، والسعي من أجل ذلك، فقد كانوا يحاولون جهد إمكانهم أن يتوصلوا إلى توزيع المال على الحوزات عبر العلماء بعناوين مختلفة، ولكن كانت المرجعية أذكى، فرفضوا أي نوع من أنواع التعامل مع البريطانيين والحكومات الفاسدة!.

يقدر بعض الباحثين^(١) ما كان يستلمه الشيخ الأنصاري من الحقوق الشرعية (من أخماس وغيرها) بـ (٢٠٠) ألف تومان في الوقت الذي كانت ميزانية الحكومة القاجارية في تلك الفترة (٣) ملايين تومان.

أقول: هذا يعني أن ما يصله كان بحدود ٩٪ من ميزانية الدولة كلها ومع ذلك كانت تحتاج زوجته الحامل المقرب إلى مقدار بسيط من التمر فلا يجد من ماله الشخصي ما يوصله إليها.. فانظر إلى هذا الزهد العلوي وتأمل!.

(١) نقاش؛ اسحاق في شيعة العراق ص ٢٩١

— |

| —

— |

| —

عدد الشيعة في العالم

تختلف التقديرات قلة وكثرة، فالشيعة يكثر من عددهم فيقولون هم نصف المسلمين! وغيرهم يقللون العدد إلى حد أنه قد قيل إن عددهم هو ٧٠ مليون^(١)!.

- ما هو سبب التقليل والتكثير في التقديرات؟.

قد يكون من أسباب التفاوت الكبير في التقديرات، عدم وجود إحصاءات في الأساس في بلادنا المسلمة، أو إخفاء بعض الإحصاءات وعدم اعتمادها إذا كانت تخالف التوجهات السياسية لأنظمة الحكم.. وأقل منها تلك الإحصاءات التي تعتمد على الفرز والتحديد المذهبي فليس معقولا أن النظام الذي ينكر وجود مواطنين من مذاهب غير مذهب الحاكم، أن يقوم بإحصاء دقيق لهم، لأن ذلك يترتب عليه

(١) في تصريحه لموقع العربية.نت، المنشور بتاريخ ٠٩ صفر ١٤٣٠هـ - ٠٤ فبراير ٢٠٠٩م قال مفتي الجمهورية المصرية الشيخ علي جمعة، بأن الشيعة كانوا دائما جزءا لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، لكنهم يشكلون أقلية لا تتعدى نسبتها ١٠٪ من إجمالي عدد المسلمين!! بينا قدرهم فرانسوا تويال الباحث الفرنسي في كتابه (الشيعة في العالم: صحوة المستعبدين واستراتيجيتهم) صدر سنة ١٩٩٥ م بإتتي مليون نسمة أي ١٠-١٢٪ من المسلمين هذا مع أنه أسقط بشكل كامل في ملحق كتابه بعض الدول بشكل كامل مثل نيجيريا التي تحتوي على عدة ملايين. أما المحقق الشيخ محمد صادق الكرباسي في دائرة المعارف الحسينية فقد رأى أن عددهم يصل إلى ٣٩٤ مليون مسلم، وبالتالي فهم يشكلون نسبة ٢٥٪ من عموم المسلمين.. لكنهم بالقياس إلى كل فرقة من فرق المسلمين يعتبرون أكثرية.

متواليات سياسية لا يريد أن يتورط فيها!!.

وهذه الجهة راجعة إلى مشكلة الإحصاءات في بلاد المسلمين
عموما..

كما أن الدوافع المذهبية لكل من الطرفين تدفع إلى التقليل
أو التكثير كما لا يخفى. غير أن هناك أسبابا أخر تجعل من التقديرات
متفاوتة ومختلفة.. ومنها:

١- تصور البعض أن الكثرة تتناسب مع الحق والمشروعية..
فيقولون بأن الدليل على صحة ما لديهم أن الناس كلهم يعملون هذا
العمل أو أنهم على هذا المذهب، والقلة خلاف ذلك! وأنه هل يعقل أن
يكون كل هؤلاء على باطل، وأن العدد القليل هم أهل الحق؟.

ولا ريب أن هذه الفكرة خاطئة بحسب المعايير القرآنية حيث
ذمت الكثرة في القرآن، ولم تعتبر القلة شتما أو عيبا بل ربما كان العكس..
إذا اتبعت القلة الهدى، وحالفت الأكثرية الباطل. بل حتى الأكثرية لو
كانت على الحق فهذا لا يعطيها الميزة لأنها أكثرية وإنما لأنها أهل الحق.

ولم تكن الأكثرية أيضا مقياسا للحق.. فلا يمكن الاستدلال
على كون جهة أهل الحق لأنهم أكثر، والجهة الأخرى بأنهم أهل باطل
لأنهم أقل! ولا أن الكثرة يجب أن يأخذوا كل شيء لأنهم كثرة، والقلة
يحرمون لأنهم أقل!.

بل ربما مدحت القلة وذمت الكثرة لبعض الجهات: ﴿وَإِنَّ
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾^(١)، و﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ

(١) المائدة: من الآية ٤٩.

وَأَكْثَرُهُمُ السُّحَّتَ لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾. وفي المقابل هناك مدح للأقلية، والقلة: ﴿وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٢﴾. ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ﴿٣﴾، ﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤﴾، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥﴾. ونحن هنا لا نريد أن نثبت أن الأكثرية هي بالضرورة خاطئة وذلك لكي تنزع عن الأكثرية كونها ملازمة للحق ﴿٦﴾.

وهي فكرة خاطئة بحسب الواقع الخارجي كذلك فلو أردنا أن نطبقه في دائرة الأديان لانتبهنا إلى أن المسيحيين وهم في بعض التقديرات أكثر من المسلمين في العالم يجب أن يكونوا على الحق دون المسلمين.. ولا شك أن الالتزام بهذا النظرية غير ممكن.

٢- ربط الحقوق الأساسية بالانتماء إلى الأكثرية أو الأقلية، فلو فرضنا أكثرية في بلد في مقابل أقلية، فإن بعض الناس يتصورون أن من ينتمي للأكثرية لا بد أن يحصل على الحقوق الأساسية تامة، بخلاف من ينتمي إلى القلة أو الأقلية، فيمكن انتقاص حقه!

ومن الواضح أن هذه الفكرة غير سليمة، وذلك أن مصدر الحقوق إما هو مصدر ديني كـ بعض الحقوق الثابتة للإنسان بوصف كونه مسلماً

(١) المائدة: ٦٢.

(٢) هود: من الآية ٤٠.

(٣) البقرة: من الآية ٢٤٩.

(٤) البقرة: من الآية ٢٤٩.

(٥) البقرة: من الآية ٢٤٦.

(٦) وهذا لا يتنافى مع إيماننا في قضايا السياسة والتدبيرات الخارجية بالديمقراطية ورأي الأكثرية فيها. وسيأتي مزيد توضيح في موضوع واقع الأقلية وثقافة الأقلية.

مثل (فإذا قالها أي الشهادتين عصم ماله ودمه) أو خارجي يعتمد على فكرة ملك الأرض (فملكية الأرض هي مصدر للحقوق السياسية. وذلك أن الدولة -أيًا كانت صفتها- لم تخلق البشر ولا أرضهم، وهي لم تجلب هؤلاء المواطنين من أماكن أخرى وتعمر أرضهم وتسكنهم فيها. بعبارة أخرى فإن الأرض التي تخضع لسلطان الدولة هي ملك أصلي للذين يعيشون فوقها. وبموجب هذا الملك فإنهم وحدهم أصحاب الحق في إدارة مواردها والتصرف فيها. الدولة لا حق لها في أي شيء من تلك التصرفات إلا إذا اتفق أولئك المالكون على تفويضها هذا الحق. ملكية الأرض أعلى وأسبق -من حيث قابليتها لتوليد حقوق التصرف- من الدين والقانون والتوافقات، وإنما تصبح أحكام الدين والقانون سارية إذا وافق المالك على الخضوع لها^(١)، أو أن مصدر الحقوق مبني على اعتبار سياسي كامتلاك الجنسية الخاصة بالبلد. وأما كونه ينتمي إلى الكثرة أو القلة، فلا ربط له بتمتعه أو حرمانه من حقوقه..

٣- الاعتقاد بأن ظهر القلة ضعيف فيمكن تصنيفهم أو سلبهم أو التعدي عليهم، وهذا هو (منطق العصابات المتحاربة) وليس منطق العالم المتحضر والدول القائمة.

لم يحصل على مستوى العالم الإسلامي إحصاء على أساس مذهبي.. لكن يمكن القول أن الشيعة يصلون إلى ٢٥٪ من عدد المسلمين.. وهذا إنما يشكل حجم الوجودات الأصلية للشيعة.. ولا يشمل تقدير الأعداد الحادثة التي تشيعت وتحولت، وهي وإن لم تكن

(١) السيف، توفيق: الكلمة العدد (٥٩) ربيع ٢٠٠٨ / ١٤٢٩ هـ.

ذات قيمة عددية بحيث تؤثر في النسبة المذكورة تأثيراً واضحاً إلا أنها ذات دلالة تعبيرية تشير إلى نشاط وحيوية هذا المذهب وقدرته على الانتشار والاستقطاب..

كما أن العدد سواء كان بنحو ما يفضله الشيعة من التكرير أو بنحو ما يفضله غيرهم، ليس مهماً بمقدار ما تكون دلالاته والرسائل التي يعطيها مهمة..

ومن هذه الدلالات:

أ- التنوع البشري والعرقى: ففي الشيعة عرب، وأكراد، وأفارقة، وهنود وباكستانيون، وفرنس، وأتراك، وأفغان، وأوربيون.. ما الذي يعينه هذا؟.

إن هذا بذاته ينفي مقولة طبل لها مخالفو المذهب، قديماً وحديثاً وهي أن التشيع كان ناشئاً عن حالة قومية معينة (الفارسية)، فإنه لما تصاهر الحسين مع بنت ملكهم يزدجرد مال الفرس إلى التشيع أو أن التشيع دخلته الأفكار الفارسية من خلال ذلك، هذه الفكرة بالإضافة إلى تماهتها في ذاتها، فقد تزوج عبد الله بن عمر الأخت الأخرى، وابن أبي بكر الثالثة وأولداها فلماذا تأثر هؤلاء ولم يتأثر أولئك^(١)؟.

(١) الوائلي: أحمد: هوية التشيع ص ٧٦: رد على هذه الجهة بتفصيل جاء فيه: إن من القواعد المسلم بها أن حكم الأمثال فيما يجوز أو لا يجوز واحد، وبناء على هذا فإن العلة التي ذكرها هؤلاء الكتاب في اعتناق التشيع من قبل الفرس وهي إصهار الحسين عليه السلام للفرس موجودة عند عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعند محمد بن أبي بكر، فقد ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار وغيره من المؤرخين، أن الصحابة لما جاؤا بسبي فارس في خلافة الخليفة الثاني كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر الخليفة ببيع بنات يزدجرد فقال الإمام علي إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن فقال الخليفة كيف الطريق إلى العمل معهن فقال: يقوم من ومهما بلغ ثمنهن

وكذلك إذا كانت المصاهرة بين الفرس وبين الحسين سببت لهم التشيع.. فما الذي يربط الأفارقة بهذه المصاهرة؟ والترك والهنود والعرب؟.

هذا مع العلم أن الفرس لا يشكلون في بعض التقديرات أكثر من ٢٠٪ من عموم الشيعة.

ب- الانتشار الجغرافي^(١): يسكن شيعة أهل البيت مناطق كثيرة في العالم كمواطنين أصليين مر على وجودهم في تلك المناطق قرون.. وتتمدد هذه المناطق في كل القارات القديمة (آسيا وأفريقيا). الهند = ٤٠ مليون / الباكستان = ٣٥ مليون / إيران = ٦٠ مليون / أفغانستان = ٨ ملايين / آذربايجان = ٨ مليون / تركيا = ٣ ملايين / نيجيريا = ١٥ مليون. العراق = ١٥ مليون / طاجيكستان = ٢ مليون^(٢).

قام به من يختارهن فقومن فأخذهن علي فدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبي بكر، فأولد عبد الله بن عمر ولده سالما، وأولد الحسين زين العابدين وأولد محمد ولده القاسم فهؤلاء أولاد خالة وأمهاتهم بنات يزدجرد.

وهنا نسأل إذا كانت العلة في دخول الفرس للتشيع هي مصاهرة الحسين للفرس فلماذا لا تطرد هذه العلة فيتسنن الفرس لإصهار عبد الله بن عمر لهم ومحمد بن أبي بكر كذلك؟ وكل من محمد وعبد الله أبناء خليفة كما كان الحسين ابن خليفة. بالإضافة لذلك إن كلا من يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأمه شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد ومروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أمه أم ولد من كرد إيران فلماذا لا تطرد العلة هنا أيضا؟.

وبالعكس لماذا لا يميل العرب السنة لأهل البيت الذين أمهاتهم عربية في حين نجد قسما من العرب يبعث أهل البيت كالتواصب مثلا؟.

(١) لا نريد هنا الالتزام بالأعداد والتقديرات المذكورة وإنما نريد الاستفادة منها بشكل عام بغض النظر عن دقتها لبيان التنوع الجغرافي والانتشار العالمي..

(٢) هذه الأرقام تأتي بها ولا تتحمل مسؤوليتها، إذ أن الناظر يلاحظ اختلاف التقديرات..

بل يمكن القول إنه قل أن يوجد بلد فيه مسلمون في العالم، ولا يوجد فيه شيعة أهل البيت، حتى أن فرانسوا تويال يتحدث عن أقلية شيعية في آسيا الوسطى، قائلاً: إنها عرفت مصيراً أكثر تعقيداً ومأسوية وهم: المسقط (هكذا في الترجمة العربية) وهم جورجيون أسلموا في القرن الثامن عشر، ومع أن جذورهم جورجية فقد تتركوا اللغة مع انتمائهم إلى المذهب الشيعي، ولأن موقعهم على حدود امبراطوريات ثلاث: الفارسية والروسية التي ضمت جورجيا إليها في القرن التاسع عشر والسلطنة العثمانية.. وأنهم نفاهم ستالين في العام ١٩٤٤ م إلى أوزبكستان خوفاً من أن يشكلوا (طابورا خامسا) لتركيا^(١)..

يشكل الشيعة ٧٠٪ من سكان أهم منطقة في العالم من الناحية الجيوسياسية حيث يقطنون على ضفتي الخليج التي تحتوي على ثلاثة أرباع المخزون العالمي من احتياطي النفط، والمنطقة التي انتقل إليها مركز الثقل في العالم العربي بعد أن كان في محيط البحر الأبيض المتوسط، كما أنهم في قلب العديد من الصراعات ذات الطابع الاقليمي أو الدولي^(٢).

هذا يعني أن من يفكر في محاصرة الشيعة أو التشيع فضلاً عن القضاء عليهم، هو واهم جداً، فإن هذه الامتدادات هي أشبه بالمحيط، الذي كلما حوَصر من جانب توسع من آخر.

وليس الكلام هنا عن الاستقواء واستعداد الآخرين، وإنما الكلام هو في أن يقلع من يفكر بهذا النحو عن التهادي فيه، فإنه أشبه بمقارعة الهواء ومصارعة الضياء!

(١) تويال: فرانسوا؛ الشيعة في العالم ١٠٦

(٢) تويال: ٢٧.

ج- حكم الشيعة لبلاد المسلمين:

شهدت مناطق كثيرة من بلاد المسلمين في فترة (أو أكثر) من الفترات حكماً متأثراً بالحالة الشيعية حتى يمكن القول أن القرن الرابع الهجري كان قرن حكومة الشيعة في العالم الإسلامي بامتياز^(١).

إن الحكم القائم على أساس مذهبي لمنطقة واسعة من العالم الإسلامي، ولمدة طويلة يشير إلى أن ذلك المذهب ليس وجوداً طارئاً ولا مؤقتاً، وإنما هو متداخل في النسيج الإسلامي، ومتواصل معه.

ولو ألقينا نظرة خاطفة لوجدنا مصداق القول السابق؛ ففي بلاد المغرب الأقصى تأسست دولة الأدارسة وبقيت قرنين من الزمان (١٧٥ - ٣٧٥ هـ). والأدارسة^(٢) يوجد كلام في مذهبهم وأنهم هل هم شيعة بالمعنى الخاص (العقدي) أو أنهم زيدية؟ وبالرغم من أن مشهور المؤرخين على هذا القول، إلا أن هناك رأياً يتحدث عن وجود أرضية شيعية بالمعنى العقدي ناتجة عن إرسال الإمام الصادق اثنين من دعائه

(١) عبر عنه الباحث رسول جعفریان بالقول إن (القرن الرابع هو قرن امتداد التشيع وكانت هناك بواعت عديدة على هذا الامتداد منها: قيام أربع حكومات شيعية، الفاطمية في مصر، والبويهية في العراق، والحمدانية في سورية، والزيدية في اليمن) تاريخ الشيعة في إيران ٢٧٨.

(٢) الادارسة: على أثر ثورة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ومقتل الحسين وأصحابه، كان من الباقيين ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، واستطاع أن يتخفى ويصل إلى المغرب وتحالف هناك مع زعيم بربري وأقنعه بدعوته، وأعلن الثورة على العباسيين وفصل تلمسان عن الخلافة العباسية، وبدأ يتوسع في تلك المناطق حتى أرسل هارون الرشيد إلى من تسلل إلى بطانته وسمه، غير أن اغتياله هذا لم يمهّد دولة الأدارسة بل انتظر بابنه المولود والذي سمي بإدريس حتى بلغ وتولى الحكم وتوسع حتى ضم الجزائر وقضى على أعدائه.. واستمرت دولتهم قرنين من الزمان.

أثناء حياته وكان هؤلاء أول من نشر التشيع في تلك المنطقة^(١)، وجاء ادريس بن عبد الله الحسيني، فاستثمر تلك الحالة.

وفي مصر كان الفاطميون الذين استمر حكمهم قريبا من ثلاثة قرون (٢٩٨ هـ - ٥٦٧ م)، كانت لديهم توجهات شيعية ولو على المستوى العام. وفي العراق وكانت بغداد عاصمة الخلافة حينها، جاء البويهيون وبقوا فيها حاكمين ١٣٤ سنة (٣٣٤-٤٤٧) ويتم الحديث عنهم في تاريخ التشيع في إيران..

وفي حلب والموصل كان الحمدانيون الذين استمرت دولتهم قريب قرن من الزمان (٣١٧-٣٩٤). والحديث عنهم يكون عند الحديث عن تاريخ الشيعة في لبنان والشام.

وفي لبنان الشمالي كان آل حرفوش قد حكموا بعلبك مدة ثلاثة قرون ونصف (٣٩٠) وشملت امارتهم حمص وتدمر ووصلت إلى حدود القدس.

الجزيرة العربية: حكم العيونيون الأحساء والقطيف والبحرين لمدة أكثر من قرن ونصف من الزمان ١٦٧ سنة من (٤٦٩ - ٦٣٦ هـ). ويأتي شيء من الحديث عنهم في تأريخ الشيعة في القطيف والأحساء، وبالرغم من أن بعض الباحثين حاول أن يتنكر لحقيقة تشيعهم، إلا أن المعروف هو أنهم شيعة إماميون، ففي دراسة أعدها نايف بن عبد الله الشرعان، ونشرها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض عام ١٤٢٣ هـ تحت عنوان «نقود الدولة العيونية في بلاد البحرين» توصل بها إلى إثبات أن المذهب الرسمي للدولة العيونية هو (١) راجع نجيب زبيب: دولة التشيع في بلاد المغرب.

المذهب الشيعي، على عكس ما ورد في معظم الدراسات التاريخية من أن المذهب السني هو مذهب حكام الدولة العيونية. وقد أورد في كتابه هذا صوراً عن النقود التي كانوا يتعاملون بها، وفيها الشهادة الثالثة لعلي بأنه ولي الله، الأمر الذي يعد من خاصة الشيعة..

بل إن الشيعة قد حكموا اليمامة شرق نجد، مدة تصل إلى قرنين من الزمان، وذلك أيام الدولة الأخيضرية عام ٢٥٢ هـ، على يد محمد بن يوسف الأخيضر، الذي يعود بنسبه إلى الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وكان محمد بن يوسف قد قدم إلى اليمامة فاراً من الحجاز بعد فشل الثورة التي قام بها هناك ضد العباسيين و وفاة أخيه و شريكه في الثورة إسماعيل بن يوسف. وقد وصف الرحالة ناصر خسرو الذي مر بأراضيهم في القرن الخامس الهجري عاصمتهم الخضرمة بالقوة و المناعة و وصف المنطقة بأنها مزدهرة في فصل الشتاء^(١).

هذا في المنطقة العربية، وأما في خارج المنطقة العربية، ففي:

الهند: قامت عدة دول شيعية في فترات متعددة، ومناطق مختلفة منها: المملكة القطب شاهية التي استمرت لمدة تزيد على قرن ونصف من الزمان (٩١٨ - ١٠٨٣)، وهم أمراء أودة شمال الهند، ويشار إلى أن ملوك هذه المنطقة كانت لهم أوقاف ظلت تصرف عوائدها إلى وقت قريب على المراقد والحوزة.

هذا في شمال الهند وأما جنوب الهند، فقد قامت مملكة دهماني الشيعية واستمرت مدة ٢٠٠ سنة^(٢)..

(١) موقع الكتروني موسوعة ويكيديا.

(٢) للتفصيل يمكن مراجعة كتاب: ملوك حيدر آباد، لمحمد سعيد الطريحي.

إيران: فبالإضافة إلى تشييع السلطان خدابنده (سنة ٧٠٧ هـ) الذي كان معاصرا للعلامة الحلي ومن بعده أمراء المغول، فإن الصفويين الذين جاؤوا فيما بعد أعلنوا الدولة الشيعية وبقيت كذلك محكومة من قبل الشيعة إلى يومنا هذا.

اندونيسيا: يرى بعض الكتاب بأن الإسلام دخل اندونيسيا عن طريق العلويين المهاجرين إلى هناك وفي طليعتهم أحد أحفاد الإمام الصادق وهو أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن الصادق المسمى بالمهاجر والذي وصلها سنة ٣١٨ هـ. وأنهم أسسوا دولة هناك استمرت ثلاثة قرون.. غير أن المذهب المنتشر فيما بعد كان الشافعي.

وهكذا لو أردنا الاستطراد لضاق المجال، وما ينفعنا في هذه القضية هي أن هذا المذهب والطائفة لم تكن مخذولة على طول الزمان، بالرغم من عنف الإقصاء والابعاد الذي واجهه وواجهته..

إن حكم أهل مذهب لمنطقة معينة ليعطي إشارة إلى أن هذا المذهب ليس طارئاً ولا مؤقتاً، غير أن الأهم من ذلك هو أنه ينبغي ما قاله بعضهم وهو عجيب من أن الدليل على حظوة غير الشيعة عند الله أنهم قامت لهم الدول، وأن ذلك دليل على حب الله لهم، وفي المقابل فإنه (كيف يكون علي ولي الله وقد أخفق ثلاث مرات في تسنم الخلافة؟ وحين استلمها قامت الحروب ضده إلى أن قتل؟.. يقول هذا: إن التاريخ شاهد على حظوة السنة لدى الله لأن النجاح الدنيوي أوضح مقياس لفضل الله ورضاه، بينما فشل الأئمة في الفوز بالسلطة!!).

ولا ريب أن هذا المقياس خاطئ جدا فإن النجاح والفشل لهما أسبابهما الموضوعية التي لا ترتبط بالضرورة بمحبة الله لمن يسيطر على

الحكم، فإن إسرائيل وهي عين الباطل بلا ريب استطاعت أن تقيم دولتها في وجه جميع المسلمين الذين هم على الحق بلا ريب. ! وينبغي بناء على هذا التوظيف الخاطيء لفكرة سقيمة أن تكون إسرائيل أقرب إلى الله من المسلمين الفلسطينيين!! بل يكون الاستعمار البريطاني والفرنسي بهذا أقرب إلى الله من العرب والمسلمين الذين احتلت أراضيهم وبلادهم لفترات مختلفة من قبل هذين الاستعماريين!

نقول بالرغم من أن هذه النظرية خاطئة جدا إلا أننا مع ذلك نقول إنه في تطبيقها على الشيعة سيكون الأمر أشد بعدا عن الواقع، وذلك لأنهم حكموا العالم الإسلامي كما تبين قبل قليل، فحتى لو فرضنا أن السيطرة والانتصار والحكم تلازم رضا الله فإن الشيعة قد حققوا ذلك قديما وحديثا!

ولا نعلم هل أن سعي البعض الدائم لرفض التمكن والانتصار الذي حصل للشيعة في العراق ضد القوى البعثية، وبذلهم الجهود لكي لا يستقر هل هو راجع إلى هذه النظرية؟ .. وأنهم غير قادرين على رؤية الشيعة حاكمين ومنتصرين لأنه يكذب نظريتهم في حظوة غير الشيعة عند الله وعدم حظوة الشيعة!.

لقد قدم الشيعة في أكثر من موضع مثالا طيبا للتعايش بين المذاهب وأتباعها، فإن هذه الحكومات وإن كانت تشجع نشر التشيع في الأمة وهذا طبيعي حيث تراه الطريق الأسلم إلا أنها لم تسع لإلغاء المذاهب الأخرى بل تعايشت معها، ولو استثنينا بعض الحالات في مناطق محدودة خرجت عن هذا السياق وكانت ضمن حالة المناكفة السياسية كما حصل بين الصفويين والعثمانيين لوجدنا أن الصورة العامة

هي كما ذكرنا.. ولذلك قال بعضهم بأن: «السلالات التي حكمت العالم العربي كانت تشجع إسلامها الشيعي الخاص لكنها لم تلجأ إلى قهر السنة بإجبارهم على اعتناق المذهب الشيعي»^(١).

(١) تويال، مصدر سابق ٤١.

— |

| —

— |

| —

تاريخ الشيعة في العراق

من عاصمة الإمام إلى الحوزة العلمية

الحدث العراقي فاجأ الكثير بنحو مذهل.

فاجأ الحضور الشيعي الغالب في العراق، والكثافة السكانية لهذا المجتمع المسلمين وغيرهم على السواء، وذلك أن الكل كان يتعامل على أساس أن العراق وهو بلد الخلافة العباسية، وخلاصة تاريخ الأمة الإسلامية، ومحل تطبيق القومية العربية.. بلد لا يشكل فيه الشيعة إلا نسبة قليلة ناظمة.. وهم في الغالب من أصول غير عربية..

تغير كل ذلك عندما جاءت الإحصاءات لتؤكد أن الشيعة العرب هم أكبر مكون عربي في العراق ولا يمكن أن يقاس بهم غيرهم في هذه الجهة.. وبالرغم من عدم (هضم) هذه المسألة من قبل غير العراقيين (إسلاميين وقوميين) واستماتتهم في نفي هذه الفكرة، والكتابة ضدها والتعبئة الاعلامية بما يخالفها، إلا أن الشمس لما كانت لا تغطي بغربال.. أعادت هؤلاء وغيرهم إلى تلك الحقيقة المرة التي كان عليهم أن يتجرعوها ولو كانت مرة المذاق!.

نعم يشكل العراق أعظم تجمع شيعي عربي في العالم الإسلامي..

وقد تحولوا إلى أكثرية بعد سيرورة تاريخية متعددة المراحل ويمكن لنا أن نتابع التكون التاريخي للشيعفة في العراق، حتى صاروا أغلبية السكان فيه بدءاً من أوائل القرن التاسع عشر، من خلال عدد من المراكز السكانية الأساسية، وهي الكوفة وبغداد والحلة..

١- الكوفة:

ذكر أنها سميت كوفة لاستدارة بنائها. يقال: تكوف القوم: إذا اجتمعوا واستداروا. وقيل: الكوفة هي الرملة الحمراء، وبها سميت الكوفة. وفي حديث سعد، لما أراد أن يبني الكوفة قال: «تكوفوا في هذا الموضوع» أي اجتمعوا فيه، وبه سميت الكوفة^(١).

وفي لسان العرب؛ التَّكُوفُ: التجمع. و الكُوفَة: الرملة المجتمعة، وقيل: الكُوفَة الرملة ما كانت، وقيل: الكُوفَة الرملة الحمراء وبها سميت الكُوفَة. الأزهرى: الليث كُوفَانُ اسم أرض وبها سميت الكُوفَة. ابن سيدة: الكُوفَة بلد سميت بذلك لأن سعداً لما أراد أن يبني الكوفة ارتادها لهم وقال: تَكُوفُوا في هذا المكان أي اجتمعوا فيه، و قال المفضل: إنما قال كُوفُوا هذا الرمل أي نَحُوهُ و انزلوا، ومنه سميت الكُوفَة. و كُوفَان: اسم الكُوفَة عن اللحياني، قال: وبها كانت تدعى قبل، قال الكسائي: كانت الكُوفَة تُدعى كُوفَان^(٢).

يذكر المؤرخون أن تأسيس الكوفة يرجع إلى زمان الخليفة عمر بن الخطاب، الذي كان يريد أن يجعل لجيوش المسلمين المنطلقة إلى شرق البلاد الإسلامية للفتح، مكانا يجتمعون فيه، ويتزودون بالمؤن الحربية

(١) مجمع البحرين، ج ٥، ص ١١٦.

(٢) لسان العرب: ج ٩، ص ٣١٢.

وتكون إليه فيئتهم ورجوعهم.. فكان أن تم اختيار الكوفة كمعسكر للجند، ثم مُصّرت!!.

ويضيف بعض الباحثين سببين آخرين؛ الجغرافي: حيث ترتب على انتقال الجند العرب من البيئة الصحراوية إلى البيئة السهلية أن تغيرت صحة الجند وذبلت أجسامهم، فكانت الحاجة إلى مكان صحي. ورغبة الخليفة في أن يبتعد الجنود عن ترف المدن المفتوحة^(١).. وبالرغم من اختيار المدائن في أول الأمر إلا أنها لم تكن ملائمة لهم، فاخترت الكوفة.

ومع تمصيرها انتقل إليها عدد كبير العرب في نهاية سنة ١٧ هـ، فقد ذكر أن ثلاثمائة وسبعين من صحابة النبي ﷺ، قد سكنوها، ترجم ابن سعد في الطبقات مائة وخمسين منهم، وأما من التابعين فقد أورد ترجمة ٨٥٠ منهم^(٢).

هذا على مستوى النخبة والشخصيات، وأما على مستوى القبائل فقد غلب على الكوفة القبائل اليمنية التي توافدت إليها حتى وصل عددهم فيها إلى اثني عشر الفا من قبائل:

- ١- قضاة. ٢- غسان. ٣- بجيلة. ٤- خثعم. ٥- كندة.
- ٦- حضر موت. ٧- الازد. ٨- مذحج. ٩- حمير. ١٠- همدان.
- ١١- النخع^(٣).

(١) د. خالد عزب: الكوفة مدرسة العلم الأولى: موقع الكتروني: www.islamonline.net.

(٢) البراقي: حسين النجفي: تاريخ الكوفة ٤٦٥

(٣) القرشي: باقر شريف؛ النظام السياسي في الإسلام.

وكان أبرز القبائل في هؤلاء، مذحج وهمدان حتى أن عبد الملك بن مروان بعد دخوله الى الكوفة قال حينما جاءته قبائل مذحج وهمدان: « ما أرى لاحد مع هؤلاء شيئا ».

وقد اقترح لهذه القبائل محل السكنى فجاء سهمها في القسم الشرقي بالنسبة للمسجد وهو خير الأماكن..

ولم يقتصر الأمر على القبائل اليمنية، وإن كانت صاحبة الكثرة والشوكة فيها، بل إن القبائل العدنانية أيضا سكنت الكوفة، ويرى البعض أن عددها قد وصل إلى ثمانية آلاف شخص^(١).

وسكنت الكوفة أيضا قبائل بني بكر، مثل بني أسد و غطفان ومحارب ونمير.

ويظهر أن الوجود الشيعي بمعنى الميل إلى علي بن أبي طالب، كان موجودا بوضوح وبالذات في أيام الخليفة الثالث، ويظهر ذلك من تفضيلهم إياه، ومواقفهم من ولاية الخليفة عثمان، وبالذات من الوليد بن عقبة بن أبي معيط.. ثم مجيء الوفد الكوفي إلى المدينة للاحتجاج على المخالفات التي كانت تجري في الكوفة وغيرها.. والذي كان يتألف بشكل أساس من رموز الشيعة في الكوفة كمالك الأشتر النخعي، وزيد بن صوحان العبدي، وزيد بن النضر الحارثي.

كل هذا كان يشير إلى الوجود الشيعي بالمعنى المتقدم في الكوفة.. إلا أن انتقال أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى الكوفة بعد حرب الجمل

(١) نقل عن الشعبي قوله: كنا -يعني أهل اليمن- اثني عشر ألفا وكانت نزار ثمانية آلاف، ألا ترى إنا أكثر أهل الكوفة وخرج سهمنا بالناحية الشرقية، فلذلك صارت خططنا بحيث هي.. عن تاريخ الكوفة، السيد البراقبي، ص ١٣٦.

مباشرة يعتبر الفاتحة الحقيقية للتشيع العقدي في العراق.. حيث أنه بالتدريج غلب التشيع على هذه المنطقة..

مع انتقال الإمام إلى الكوفة انتقل مركز الثقل الإسلامي إلى هذه المدينة حيث انتقل معه كما قيل أكثر من (١٤٨) صحابياً، فضلاً عن التابعين. وأورد ابن سعد أسماء (٥٠٠) شخص من التابعين (بعضهم كانوا فيها قبل انتقال الإمام إليها).

شكلت الكوفة بالنسبة للبصرة أحد المصيرين العظيمين في العراق، المعادل السكاني (قريب من ٣٠٠ ألف نسمة لكل منهما في تلك الفترة)^(١) كما يرى بعض المؤلفين.. والعقدي حيث كانت البصرة (عثمانية الهوى) غالباً والكوفة علوية الاتجاه.

وتواصل التأثير الشيعي في الكوفة.. إلى أيام معاوية حيث تعرضت لهجمة أموية قوية بعد هدنته مع الإمام الحسن عليه السلام الذي عاد منها إلى المدينة مع بقية بني هاشم.. حيث تولى عليها رجال أشداء وشرسون ضد مخالفينهم مثل زياد بن أبيه وابنه فيما بعد.. وتمت مهاجمة الحالة العقديّة فيها، حيث كانت الموطن الأول الذي يشتم فيه أمير المؤمنين عليه السلام^(٢)، وتم تهجير (أو هجرة) عدد غير قليل من العشائر

(١) سوف نجد بعض الاختلاف في التقديرات السكانية لمجتمع الكوفة، وذلك قد يكون راجعاً إلى اختلاف الفترة الزمنية التي تم فيها التقدير، ومن المعلوم نمو المجتمع السكاني مع مرور الزمان.

(٢) قال المدائني: (وكان أشد الناس بلاءاً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، فكان يتبع الشيعة، فقتلهم تحت كل حجر ومدبر وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم).
وروى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في كتابه (المنتظم): (أن زياداً لما حصبه

الموالية لأهل البيت عليهم السلام، منها همدان كما يأتي في الحديث عن التشيع في لبنان، ومنها الأشعريون كما يأتي في الحديث عن تشيع إيران.

بل لقد وجدنا آثار تلك الحملة والعداء امتدت إلى الثقافة والأدب، فصار من الأمثلة (أعذر من كوفي) و(الكوفي لا يوفى) ويلاحظ نبرة العداء السلطوي لها، حتى في الثقافة العامة: اتهام الكوفيين بالبخل والغدر..

بالرغم من كل ذلك فقد بقيت الكوفة خزان التشيع كما قيل، فقد وجدنا أنها مصدر الثورات (ذات المنحى الشيعي العام كالتوابين والمختار والثورات العلوية الأخرى).. ويشير إلى ذلك، ما قاله أهلها لعبد الله بن مطيع (والي الزبير) إنهم لا يريدون غير سيرة علي بن أبي طالب.

كيف نجمع بين هذا وبين أحاديث الذم للكوفة؟

ربما يسأل سائل عن أنه كيف يمكن المصير إلى هذا الكلام مع أننا نجد أن هناك ذمًا من قبل الإمام علي عليه السلام، والحسن، والحسين لأهل الكوفة؟

والجواب إن الأحاديث بالنسبة للكوفة تنقسم إلى:

- ما يشير إلى ذم أهل الكوفة، وأغلبها منسوبة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.. فمنها: قوله:

* أقومكم غدوة، وترجعون إلي - عشية - كظهر الحنية، عجز

أهل الكوفة، وهو يخطب على المنبر، قطع أيدي ثمانين منهم، وهم أن يحرب دورهم، ويجمر نخلهم، فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة، يعرضهم على البراءة من علي عليه السلام، وعلم أنهم سيقتلون، فيحتج بذلك على استئصالهم، وإخراجهم بلدهم

المقوّم، وأعضل المقوّم (خ ٩٧).

* أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي، كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي، وكلت النزعة بأشطان الركي (خ ١٢١).

* هيهات أن أطلع بكم سرار العدل، أو أقيم اعوجاج الحق (ك) (١٣١).

* أيها الناس، إني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أمهم، وأدبت إليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزواج فلم تستوسقوا لله أنتم، أتتوقعون إماما غيري يظأ بكم الطريق، ويرشدكم السبيل (خ ١٨٢).

* فقبحا لكم وترحا،... فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم -والله- من السيف أفريا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة -والله- جرت ندما، وأعقت سدما. قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحتتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التهام أنفاسا (خ ٢٧)

* أف لكم لقد سئمت عتابكم (خ ٣٤).

* أضرع الله خدودكم، وأتعس جدودكم لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق (ك ٦٩) (١).

- غير أن هناك طائفة أخرى أكثر من الروايات التي تشتمل على مدح الكوفة وأهلها بعضها عن أمير المؤمنين عليه السلام، فمن ذلك:

(١) راجع المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، أويس كريم محمد، ص ٤٢٩.

ما روي عنه عليه السلام: هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا^(١). ومنها قوله أيضا: «كأنى بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي، تعركين بالنوازل، وتركبين بالزلزال، وأني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء إلا ابتلاه الله بشاغل، أو رماه بقاتل.. وأنها «الكوفة كنز الإيمان وجمجمة الإسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء، والذي نفسي بيده لينصرن الله جل وعز بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز»^(٢).

وقد وصف الإمام زين العابدين أهل الكوفة، أنهم الشعار دون الدثار، وهو تعبير عن القرب والالتصاق بأهل البيت، فقد روى حنان بن سدير، عن أبيه قال: دخلت أنا وأبي وجدي وعمي حماما بالمدينة فإذا رجل في بيت المسلخ فقال لنا: ممن القوم؟ فقلنا: من أهل العراق فقال: وأي العراق؟ قلنا: كوفيون، فقال: مرحبا بكم يا أهل الكوفة أنتم الشعار دون الدثار.. ويتتهي الحديث إلى أن سدير سأل عن الرجل فإذا هو علي بن الحسين عليه السلام ومعه ابنه محمد بن علي عليه السلام^(٣).

واعتبر الإمام الصادق أنه ليس هناك بلد يحتوي على محبين أكثر من الكوفة، فعن عبد الله بن الوليد قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام في زمن مروان، فسألنا من أنتم؟ فقلنا: من أهل الكوفة. فقال: «أما إنه ليس بلد من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة ثم هذه العصابة خاصة، إن الله هداكم لأمر جهله الناس أحببتمونا وأبغضنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧، ص ٢٠٩، وشرح النهج للمعتزلي: ج ٣، ص ١٩٨.

(٢) تاريخ الكوفة، السيد البراقي: ص ١٥١.

(٣) الفروع من الكافي، الشيخ الكليني: ج ٦، ص ٤٩٧/٤٩٨.

(٤) روضة الكافي، الشيخ الكليني: ج ٨، ص ٨١.

وفي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام يخاطب فيها قوما من أهل الكوفة بقوله: يا أهل الكوفة لقد أعطيتم خيرا كثيرا وانكم لمن امتحن الله قلبه للايمان، مستقلون مقهورون ممتحنون يصب عليكم البلاء صبا، ثم يكشفه كاشف الكرب العظيم^(١).

وجوه الجمع المحتملة:

- اختلاف المخاطبين: فإنه يحتمل أن يكون المذمومون هم عموم الجيش، والممدوحون انصاره وخاصته، والمؤمنين به. وذلك أن الإمام عليه السلام، وقد ورث جيشا غير عقائدي يتكون من فئات شتى (حتى أن الخوارج الذين قاتلوه فيما بعد كانوا جزءا كبيرا من هذا الجيش)، لم يكن قادرا على تحريك هذا الجيش إلى الأهداف التي يريد، بالأسلوب المناسب.. وهو ما عبر عنه بأنه يعرف داءهم ودواءهم ولكن هيهات أن يصلحهم بفساد نفسه!.

- اختلاف الزمان والاجيال: فالمجتمع ليس كتلة صلبة واحدة، وإنما هو في حالة متحركة في أفكاره وصفاته، وبناء على هذا فقد يقع اللوم والذم على فئة اجتماعية تعيش ضمن زمن معين بصفات خاصة ولها عنوان أهل الكوفة. ولكن على أثر تغير الجيل ذاك وتبدل صفاته، كان هناك مدح وثناء عليهم، وهذا واضح في اختلاف روايات الذم وخطابته وهي عن الإمام علي عليه السلام، وخطاب المدح وهو الوارد عن الأئمة بعد الإمام زين العابدين.. غير أنه يشكل هذا الجمع بأن بعض أحاديث المدح واردة عن الإمام علي عليه السلام، فلا بد من المصير فيها إلى الاحتمال الأول.

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٦، ص ٢٤.

- إنه لا تخالف بين الطائفتين من الأقوال فالإمام هو كالطيب فحين يرى الجسم المسلم صحيحا سليما يمدحه ويثني عليه، وأما إذا وجد فيه أمراضا وعاهات فإنه يهاجمها بعنف ويسعى لبرئها عن بقية الأعضاء حتى لا تصيبه بالعدوى..

الكوفة في عهد الحسين والسجاد عليهما السلام:

بالرغم من أنه كان هناك خمسة عشر مقاتلا^(١) إلى جانب الحسين من أهل الكوفة، إلا أن الانطباع السائد عند غير واحد من الباحثين أن الكوفة قد خذلت الإمام الحسين عليه السلام، بعد أن أسلمت موفده ومبعوثه مسلما بن عقيل بن أبي طالب، ولم تقم معه إلى الأخير مما أدى إلى شهادته على يد أنصار عبيد الله بن زياد..

وهذا المعنى شكل محلا للانتقاد والتوبيخ والتفريع قام به الإمام زين العابدين عليه السلام الذي جاء أسيرا إلى الكوفة ومعه نساء أهل البيت، فقد قال الإمام في خطبة له:

وأكدت هذا المعنى زينب بنت الإمام أمير المؤمنين في خطبها لهم:
إلا أن هذا الأمر نفسه (الشعور بذنب الخذلان) ما لبث أن تحول إلى منصة إطلاق للعزيمة والثورة على الأمويين في نفوس الكوفيين،

(١) ذكر أسماءهم السيد البراقي في تاريخ الكوفة، ص ٤٦٨ كما يلي: حبيب بن مظاهر الأسدي، ومسلم بن عوسجة الأسدي، وبرير بن خضير الهمداني المشرفي، وقيس ابن مسهر الأسدي الصيدائي، وعمرو بن خالد الأسدي الصيدائي، وأبي ثمامة عمرو الهمداني الصائدي، وعابس بن أبي شبيب الهمداني الشاكري، وحنظلة بن أسعد الهمداني الشبامي، والحجاج بن مسروق المذحجي الجعفي، ويزيد بن مغفل المذحجي الجعفي، وعمرو بن قرظة الأنصاري الخزرجي، وزهير بن القين الأنباري البجلي، ومسلم بن كثير الأعرج الأزدي، والحر بن يزيد الرياحي.

فكانت ثورة التوابين في بداية الأمر، ثم ثورة المختار بن أبي عبيدة
الثقفي على أثرها..

وتحولت الكوفة بالتدريج إلى منبع للثورات ضد بني أمية، لكل
من أراد أن يثور.

الكوفة في عهد الإمام الصادق عليه السلام:

تشير بعض الروايات إلى بقاء الإمام جعفر بن محمد الصادق
عليه السلام فيها مدة سنتين وأنه قد سكن في محلة عبد القيس (وهي القبيلة
الشيعة النازحة من أطراف البحرين والقطيف ويأتي الحديث عنها
في تاريخ التشيع في هذه المنطقة). وكان ذلك مزامنا لأيام أول حكام
العباسيين أبي العباس السفاح، وفي هاتين السنتين «ازدلفت إليه الشيعة
من كل فج زرافات ووحدانا تستقي منه العلم وترتوي من منهل
العذب الروي وتروي عنه الأحاديث في مختلف العلوم»^(١).

وهذا الأمر يفسر كيف أن الحسن بن علي الوشاء كان يقول إنه:
(أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كلهم يقول حدثني جعفر بن
محمد) مما يفيد التلقي المباشر لهؤلاء الرواة، ولم يكن معقولا أن يكونوا
كلهم قد سمعوا من الإمام في المدينة المنورة.

ولا ريب أن بقاء الإمام الصادق هذه المدة في الكوفة، قد أثر
تأثيرا واضحا في الحالة المذهبية والعقدية، وعموما فإن الكوفة قد
أخذت صبغتها الشيعة الغالبة منذ ما قبل هذا التاريخ، واستمرت
في هذا الاتجاه حتى أننا نقرأ أن المنصور العباسي، قد أقنع السفاح أول
خلفائهم أن لا يجعل الكوفة عاصمة ملكه لأنها مركز أهل هذا البيت!

(١) البراقبي، تاريخ الكوفة، ص ٤٦٦.

وعندما ثار ابراهيم بن عبد الله في البصرة، قال له مستشاروه املاً الكوفة بالرجال!.

٢- بغداد:

بالرغم من أن الشيعة قد شهدوا عصراً صعباً أيام أبي جعفر المنصور العباسي الذي وجد في الحسينيين الثائرين تهديداً عسكرياً جدياً لخلافته.. ووجد في الحسينيين تهديداً علمياً وأخلاقياً!! فبطش بالشيعة بقدر ما استطاع إلى أن انتهى عهد حكمته ليأتي بعده المهدي ويسير على نفس الطريق، مع ملاحظة تجنيد الشعراء والفقهاء لصياغة نظرية ترد على استحقاق أهل البيت عليهم السلام للإمامة والخلافة، فكان مروان بن أبي حفصة وأمثاله.. وهذا يبين أن قضية الإمامة في بغداد قد أصبحت تشكل تحدياً فكرياً وعقدياً بالنسبة للخلافة.. بحيث اضطروا إلى التحرك على هذا المستوى!.

ووجد الحكام العباسيون أنفسهم مطالبين بتقديم تبرير لوجودهم في سدة الخلافة مع حضور من هو أولى منهم في نظر الناس، وذو أهلية أكثر! فاستعانوا بفقهاء آخرين وقدموهم على أهل البيت وحاولوا فرض فقههم على المجتمع المسلم!.

ولأن الخلافة العباسية لم تكن معتمدة على نظرية كلامية ولا مدرسة فقهية بل كانت تدور مع هذه المدارس بحسب الوضع السياسي قريباً وبعيداً.. كان لا بد لها أن تتراجع في وجه المدرسة الإمامية.. وبالفعل فما أن حل الدور الثاني للعباسيين بدءاً من المأمون العباسي حتى وجدنا الحالة الشيعية بمفرداتها، موجودة في داخل البلاط العباسي فضلاً عن المجتمع العام.. وكان الأمر في أيام الأئمة: الرضا، والجواد والهادي

والعسكري في حالة جيدة من هذه الناحية.. بالرغم من أن الخلفاء كانوا يحاولون السيطرة على انتشار الحالة الشيعية باعتقال الأئمة أو حتى قتلهم!

كان الأمر يسير بهذا الوضع: الخلافة العباسية تسير إلى الضعف، والحالة الشيعية في بغداد تزداد قوة!

بغداد أيام البويهيين:

سيطر البويهيون على بغداد في سنة ٣٣٤ هـ. «وكانت لهم الدولة العظيمة التي باهى الإسلام بها سائر الأمم»^(١) وكانوا ملتزمين بالتشيع بشكل عميق مع أنهم لم يضغطوا على المذاهب الأخرى وحرصوا على تشجيع علماء الشيعة حتى نقل أن عضد الدولة كان يزور الشيخ المفيد كبير علماء الشيعة في منزله ويعظمه..

وتشكلت مناطق سكانية شيعية خالصة إلى ذلك الوقت مثل منطقة الكرخ، وكانت المظاهر والشعائر الدينية الشيعية في بغداد تقام على قدم وساق.. فقد أقيمت مراسم يوم عاشوراء في بغداد علنا في العاشر من عام ٣٥٢ هـ، وأمر معز الدولة بتعطيل الأسواق في ذلك اليوم.

ويرى الباحث رسول جعفریان^(٢) أن من أسباب ركون قسم من أهل بغداد إلى التشيع، وحصول تغييرات في تركيبها المذهبية، التطرف الذي أبداه الحنابلة في المسائل.. فقد اصطدموا بالطبري مع كونه سني المذهب!.

إن بقاء البويهيين في بغداد لمدة تزيد على قرن من الزمان كان

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ٤، ص ٤٢٠.

(٢) تاريخ الشيعة في إيران: ص ٢٨٠.

مؤثرا جدا في تسهيل النشاط الثقافي والكلامي والفقهى الشيعي.. وأدى لتواجد العلماء والمحدثين الشيعة في هذه العاصمة، وتدريسهم لأصول المذهب.

فقد وجدنا أن شيخ الإسلام محمد بن يعقوب الكليني قد بقي في بغداد فترة من الزمن لتأليف كتابه الكافي، وهذا بمجرد يشير إلى وجود مصادر مهمة لعلم أهل البيت في تلك المنطقة بحيث يقصدها الشيخ الكليني.. كما أن بقاءه هناك كان يسهل عملية اتصاله بطلاب العلم الذين يهتمهم معرفة أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

غير أن التأثير الأكبر كان للشيخ المفيد محمد بن النعمان التلعكبري البغدادي الذي « بذل جهودا عظيمة لتعريف العقائد الشيعية من الوجهة العقلية مضافا إلى ما عرف عنه من دقة في الأحاديث.. وقد أشار الخطيب البغدادي بصراحة إلى تأثير الشيخ المفيد على الآخرين.. وقال فيه ابن كثير: كانت له وجاهة عند ملوك الأطراف لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف»^(١).

ولعل ما ينقل عن تشييع جنازته (ت ١٣٤ هـ) في بغداد يبين حجم الوجود الشيعي هناك فقد نقل أن عدد من شيعه بلغ ثمانين ألفا من الناس.. ومع ملاحظة أنه ليس كل أهل البلد يخرجون في التشييع وإنما نسبة منهم يتبين أن الحجم الشيعي في بغداد كان كبيرا!.

ويضاف إلى هذا الجهود التي قام بها الشريفان الموسويان الرضي والمرتضى في تلك الفترة ثم شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي الذي

(١) المصدر نفسه: ص ٢٨٥ .

قيل إنه كان يحضر درسه في بغداد ثلاثمائة مجتهد من الشيعة ومن العامة ما لا يحصى! وإذا صح هذا النقل فإنه يكشف لنا عن حجم الحركة العلمية الشيعية في تلك الفترة، ومن خلالها نكتشف حجم الوجود الاجتماعي.

٣- النجف والحلة:

واستمر الأمر حتى بعد مجيء السلاجقة (وهم متعصبون مذهبيا) حيث كانوا يغذون المشاكل بين السنة والشيعة وكان يحصل على أثر ذلك معارك بين المناطق الشيعية والسنية، انتهت إلى الهجوم على بيت ومكتبة الشيخ الطوسي وإحراق كرسي تدرسه، مما اضطره رغبة في إنهاء الفتنة إلى الهجرة إلى النجف الأشرف حيث فتحت تلك الهجرة باب الحوزة العلمية في النجف إلى جوار قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

هجرة شيخ الطائفة من بغداد إلى النجف كانت نوعية، والذي انتقل بانتقاله كان أهل العلم والراغبون في التخصص، وأما العشائر وعامة الناس فلم تؤثر فيهم تلك الهجرة، وإنما ظلوا في أماكنهم يحاولون إقامة شعائرهم ومراسمهم الدينية بحسب ما تتيح لهم الظروف السياسية والاجتماعية.

ويمكن القول إنها كانت حالة توسع وامتداد، إلى منطقة جديدة لم يكن فيها حركة علمية أو نشاط إلى اجتماعي.. فازدهرت النجف وأطرافها بقدم الشيخ وما تبع مجيئه من التفاف العلماء ومجي طلاب العلم.

غير أن هذا الأمر ما لبث أن تراجع على أثر وفاة شيخ الطائفة (ت ٤٦٠ هـ) وانتقال المركز العلمي إلى الحلة أيام ابن ادریس، وآل

طاووس وفيما بعد المحقق والعلامة الحلبيان، وتأثرت أطراف الحلقة بحركة التبليغ الشيعي بشكل واضح.

المغول والشيعة:

يحتاج الأمر في تشخيص الموقف الصحيح الذي اتخذته علماء الشيعة من الهجمة المغولية إلى تحقيق خاص، وقد قام عدد من الباحثين بهذا الأمر بكفاءة، حيث توصل علماء الحلقة إلى أنه من العبث أن يتصدوا لمقاومة العاصفة المغولية التي اجتاحت كل شيء أمامها، خصوصاً مع تداعي بنيان الدولة العباسية، وفساد الأمراء والقادة العسكريين

فكان أن جاء وفد من علماء الحلقة يتقدمهم والدة العلامة الحلبي إلى هولاء، واستطاع هذا الوفد أن يؤمن المراقدة المقدسة للأئمة عليهم السلام من الهجوم المغولي وأن يصون مكتبات العلم والمعرفة من الإحراق والإتلاف، وأن يسلم عموم الناس في هذه المناطق على أنفسهم وأموالهم بفضل ذلك المسعى.

وبالرغم من التهريج الذي سلكه بعض الكتاب في التشويش على هذا الموقف العقلاني الحكيم^(١)، إلا أن نتائجه كانت مفيدة ونافعة.



العراق بين الصفويين والعثمانيين:

في سنة ٩١٤ هـ، دخل الصفويون إلى بغداد، وسيطروا عليها،

(١) يذكر منهم السيد حسن الأمين رحمته الله الذي بحث الموضوع بشكل مفصل ومحقق في كتابه (في خضم التاريخ، طباعة دار المحجة البيضاء) ومنهم د. الغامدي في كتابه (سقوط الدولة العباسية).

ومنذ ذلك الحين أصبحت بغداد والعراق عموماً محل تنازع بين الصفويين الإيرانيين وبين الأتراك العثمانيين.. ولم يكن سبب التنازع منحصرًا في الجانب المذهبي، وإن كان هو العنوان الأبرز، والسلاح الذي شهره كل من الطرفين بوجه خصمه واستفاد منه في تعبئة مجتمعه ضد الآخر.

لم يستمر وجود الصفويين في العراق إذ أن العثمانيين ما لبثوا أن استعادوا السيطرة على شمال العراق بعد ست سنوات (سنة ٩٢٠ هـ) في موقعة جالديران. وعلى بغداد (سنة ٩٤٠ هـ).

ومع إعلان الصفويين أن التشيع مذهب دولتهم الرسمية. دفع شيعة العراق ضريبة ذلك (!!) فقامت الدولة العثمانية باضطهادهم ومارس السلطان (سليم الأول) سياسة إرهابية بحقهم حيث اعتبرهم غير مسلمين وأعلن ضدهم الحرب المذهبية واستصدر من رجال الدين فتوى بكفر الشيعة وجواز قتلهم وراح ضحية هذه الفتوى عشرات الآلاف من الشيعة.. وجاء بعده السلطان مراد الرابع فشن حرباً طائفية على الشيعة. حيث قتل فيها عدد كبير.. وكذلك فعل والي مدينة كربلاء عام ١٨٤٢ م (١٢٥٨ هـ) م حيث قتل فيها والي نجيب باشا الآلاف..

واستمرت العلاقة بين الشيعة وبين الأتراك العثمانيين متأرجحة تؤثر فيها الظروف المحلية مثل علاقة بعض المرجعيات الدينية الإيجابية بالولاة العثمانيين حيث ينعكس ذلك بصورة جيدة في أوضاعهم، أو الاقليمية كالصراع مع الصفويين حيث يعانون من آثار هذا الصراع، كما يؤثر فيها مزاج الحاكمين، ومررت في فترات هدوء تبعاً لذلك. فقد

سكت داود باشا الوالي المملوكي عن النشاط الشيعي وممارسة الشعائر، مثلما كانت سياسة عبد الحميد الثاني العثماني الداعية إلى الوحدة الإسلامية عاملاً مهماً في أن يتنفس شيعة العراق الصعداء.

البريطانيون ومفاجأة أكثرية الشيعة:

مع سيطرة البريطانيين على البصرة عشية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) وتقدمهم باتجاه العمارة وبغداد فيما بعد، ذهبوا من سعة انتشار التشيع وقوة المرجعية الشيعة التي اصطفت إلى جانب الحكومة العثمانية باعتبارها مسلمة بالرغم من معاناتهم مع حكامها والتمييز الطائفي الذي كانت تمارسه إلا أن العلماء وقفوا الموقف الرائع في معاداة البريطانيين.

فقد عارضهم وبشكل صريح أبرز علماء الحوزة العلمية، مثل شيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ عبد الكريم الجزائري، وأصدر الميرزا الشيرازي محمد تقي بيانا بهذا الخصوص يحرم فيه انتخاب حاكم غير مسلم كما اشترك في قتالهم السيد محمد سعيد الحبوبى وسعى في ذلك الشيخ محمد رضا الشيبى مؤكدين على وجوب الاشتراك مع الحكومة المسلمة أي العثمانيون في دفع الغزاة، وأمر الشيخ مهدي الخالصي بدفع الأموال في هذا السبيل.

لم تكن معارضة الحوزة العلمية ومراجع الدين مفاجئة للحكومة البريطانية بقدر ما كان مفاجئاً بنسبة سكان الشيعة في العراق، وبقدرة المرجعية على تحريك الساحتين الشيعية والسنية في مواجهة البريطانيين!!

لقد كان يتعامل مع الشيعة في العراق على أساس أنهم أقلية تبعا للانطباع الموجود من أيام الأتراك غير أن البريطانيين وقد استولوا على العراق ووجهوا بتلك المعارضة الشيعة القوية تنبهوا عبر إحصاء قاموا بإجرائه إلى أن الشيعة يشكلون أكثرية في البلاد وهم (ما بين ٥٣-٥٦٪) ..

لقد تنبه بعض الكتاب إلى هذه الحقيقة، وهي أنه قد حدث تحول للمذهب من قبل العشائر والقبائل العربية التي كانت في حوض الفرات، وأيضا من قبل القبائل التركمانية في شمال العراق، وهذا التحول في الجهتين غير المعادلة السكانية المذهبية.. ولم يكن هذا التحول والتغير في الوضع السكاني قد حدث أثناء الاحتلال البريطاني، وإنما سبقه بنحو قرن من الزمان أي في بدايات القرن التاسع عشر..

وقد ذكر ابراهيم الحيدري (عالم سني) قائمة باسم العشائر التي تشيعت مثل (زبيد، وبني لام، والبو محمد، وعشائر الديوانية، وبعض أفخاذ تميم، وربيعة... وشمر.. وقبلهم كانت قبائل المنتفق، وخزعل، وقسم من الدليم^(١)..

وأخيرا القبائل التركمانية في كركوك.

وتختلف هذه القبائل لكن أعرقها في التحول العقيدي كانت قبل ١٥٠ سنة، وآخرها كان قبل ٦٠ سنة..

العوامل التي أدت إلى تشيع العشائر:

ما هي العوامل التي أدت إلى تشيع العشائر العربية تلك؟

(١) راجع اسحاق نقاش: شيعة العراق.

يتحدث الباحث اسحاق نقاش في كتابه شيعة العراق حديثا مفصلا
وجيدا عن العوامل الاجتماعية والجغرافية التي أدت إلى هذا التحول،
ونحن نحيل من أراد التفصيل على هذا الكتاب، لكننا نوجز ما ذكره،
ونذكر باختصار أسبابا آخر.. فمن تلك العوامل:

١- الدور العكسي الذي قامت به هجمات الوهابيين على كربلاء
والنجف، ومواجهة هذه العشائر لتلك الهجمات زادت دوافعهم للتشيع
خصوصا مع ملاحظة أبناء العشائر هذه، التسامح الشيعي في مقابل التشدد
الوهابي والذي كان يصل إلى العقوبة الشديدة جدا على استعمال التبغ! أو حلق
اللحية! فضلا عن الصلاة في المراقد وعند القبور، الأمر الذي كان غير محتمل
عند هذه العشائر.. فإذا قارنت هذه الحالات مع ما عاشوه إلى جنب الشيعة
لسنوات طويلة ورأوا منهم التسامح والأخلاق فإن النتيجة واضحة..

بل لقد ساهمت تلك الهجمات في بناء شيء من التواصل
والتحالف بين العثمانيين والشيعة العراقيين كما يقول صاحب كتاب
العراق: سياقات الوحدة والانقسام.

٢- كما أن من العوامل: توطين العشائر البدوية على يد العثمانيين
الأتراك الذين كانوا يريدون زيادة مداخيل الدولة من خلال الضرائب
على زراعتهم.. فنظرا لحاجة الأتراك إلى أموال إضافية فكروا في توطين
العشائر تلك، بتوزيع الأراضي في حوض الفرات عليهم، لكي يزرعوها
وكان الأتراك يأخذون أموالا على الأرض نفسها وضريبة على الزراعة
والانتاج وهذا التوطين بالإضافة إلى أنه قد هدم نظامهم الاجتماعي
البدوي التقليدي، جعلهم في جوار الحواضر الشيعية كالنجف وكربلاء
ومناطق الجنوب الشيعية وفي مدى التبليغ الشيعي (بالقول والتعامل).

٣- ولا بد من التأكيد على الدور المهم الذي قامت به الحوزة العلمية في نقل مذهب أهل البيت لتلك العشائر.

فقد ذكر صاحب الجواهر الشيخ محمد حسن النجفي^(١) رَحِمَهُ اللهُ، عند الحديث عن سبب تأليف كتابه المذكور المشهور، أنه كان يذهب إلى قرى العذارى للتبليغ ويحتاج إلى أن يحمل معه كتباً فقهية متعددة، فكتب هذا الكتاب. وهذا يشير إلى جهده التبليغي أيام شبابه. كما ينقل نفس ذلك الأمر عن أستاذه الشيخ جعفر كاشف الغطاء في شبابه.

ونقل المحدث النوري في خاتمة (مستدرک الوسائل) أن المرحوم السيّد مهدي القزويني من علماء الشيعة ومراجعها، نزيل الحلة في العراق، وزميل الشيخ مرتضى الأنصاري رحمهما الله أخذ في أواخر حياته بالتبليغ وساهم في تحول عشائر كانت برمتها غير موالية، لأهل البيت سلام الله عليهم؛ إذ كان يذهب إلى إحدى العشائر ويمكث في مضيفها سنة كاملة يخاطبهم فيها ويصلي بهم ويحكي لهم قصصاً حتى يغيّر معظمهم ويجعلهم موالين لأهل البيت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ثم يغادرهم إلى عشيرة ثانية ويمكث فيهم سنة أو أكثر.. وهكذا^(٢).

٤- هدوء الوضع الداخلي بين الشيعة والعثمانيين في تلك الفترات كان عاملاً مساعداً، فقد مرت فترة المماليك بهدوء وكان داود باشا غير متشنج، على خلاف سابقه الذين منعوا الشعائر الشيعية علناً، كما أن

(١) الشيخ محمد حسن النجفي، فقيه إمامي انتهت إليه رئاسة الطائفة في زمانه وأذعن له بالفقه، من تلامذة الشيخ جعفر كاشف الغطاء وولده شيخ موسى، والسيّد جواد العاملي.. توفي سنة ١٢٦٦ هـ. له الكتاب المعروف بين الفقهاء (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) وهو دورة استدلالية في الفقه الإسلامي ٤٣ مجلداً.

(٢) خاتمة المستدرک، الميرزا النوري، ج ٢، ص ١٢٨.

استراتيجية السلطان عبد الحميد (ت ١٩٠٩) في الدعوة إلى وحدة المسلمين قد ساهمت في تخفيف التشنج. ومن الواضح أن هذه الظروف تخدم التحول العقدي بخلاف حالات التشنج والتصعيد الطائفي.

البريطانيون يعاقبون الشيعة:

على أثر وقوف الشيعة في وجه البريطانيين، ومعارضة المرجعية الشيعية للاحتلال البريطاني وتحشيدها للقبائل، وتحول المقاومة إلى هم إسلامي عام، صمم البريطانيون على إقصاء الشيعة، وجاء الأشراف الذين هم بأنفسهم كانوا مطلبا شيعيا في مقابل الحاكم الانكليزي، فإذا بهؤلاء يتحالفون مع البريطانيين، ويبعدون الشيعة إبعادا تاما.

وقد عمل البريطانيون على عدة مستويات في مواجهتهم للشيعة:

* فمن جهة قاوموا نفوذ الفقهاء بالقول بأنهم لا يمثلون رأي الناس، وأنهم فرس وعملوا على إثارة موضوع عروبة المجتهدين، وأن عليهم أن يتركوا توجيه الشيعة العرب للمجتهدين العرب!

* ومن جهة أخرى التف البريطانيون على الثورة الشعبية، بتعيين فيصل بن الشريف حسين ملكا، وهو الذي كان مطلب العلماء والشريفيين غير أن فيصل كان يضمّر تحطيم نفوذ العلماء^(١).

تحالف البريطانيون مع الملك فيصل، (حتى في موضوع تحطيم نفوذ

(١) في حديثه عن هذا الموضوع قال اسحاق نقاش في شيعة العراق، ص ١١٢: إن فيصل كان يتوجس من سلطة المجتهدين ويعمل على اجتثاثها، وفي لقائه مع بيرسي لورين الوزير البريطاني المعين في إيران أعرب الملك بقوة عن الرأي القائل بأنه لا يمكن تحقيق تقدم يبعث على الارتياح ما لم يحطم نفوذ العلماء! وكان متلهفا بصفة خاصة على إضعاف نفوذ المجتهدين الفرس الذين اعتبرهم غير مخلصين للدولة العراقية، ولم يمض وقت طويل حتى سنحت الفرصة لذلك..

العلماء) ولذلك فإن العلماء لما عقدوا مؤتمرًا للرد على غارات الوهابيين في عام ١٩٢٢م، سعى المجتهدون (النائيني والاصفهانى أبو الحسن، والخالصي) لتجميع الناس وتشكيل قوة عشائرية للرد على الغزاة، حرض البريطانيون ضد المؤتمر الذي انعقد في كربلاء، وضغطوا على فيصل لكيلا يحضر، وكذلك رفض الشيخ الآلوسي الحضور لكيلا يعارض الوهابيين السعوديين، وفشل المجتهدون فيه في التحريض على البريطانيين^(١).

* ومن جهة ثالثة عملوا على إقصاء الشيعة عن المواقع المهمة في الدولة الجديدة: ففي الوقت الذي كان فيه الشيعة أغلبية السكان (بحسب إحصاء بريطاني عام ١٩٣٢) لم يكن هناك وزير شيعي في حكومات العشرينات، وللمفارقة فإن الأكراد الذين كانوا يشكلون ١٧٪ من السكان كان لديهم ٢٢٪ من المناصب الحكومية والشيعة الأكثرية كان لهم ١٥٪ والباقي أي حدود ٦٥٪ كان للسنة.

* كما حركوا دعاة القومية لمهاجمة التشيع باعتباره حالة فارسية: وقد وضع أسس ذلك داعية القومية ساطع الحصري، وهو الذي صور التشيع على أنه هرطقة مدفوعة بحقد فارسي على العرب، ووضع مطالبات الشيعة بحقوقهم في إطار الإثارة الطائفية حيث وضعوا الشيعة في موقف دفاعي!.

وصدرت موجة من الكتب الطائفية ضد الشيعة وعروبتهم، منها: العروبة في الميزان لعبد الرزاق الحصان الذي اتهم الشيعة بالولاء الفارسي^(٢)!.

(١) شيعة العراق: اسحاق نقاش.

(٢) المصدر نفسه.

لقد كانت القومية في رأي باحثين^(١) الطبعة الجديدة للسنن
فبالرغم من ظاهرها العلماني والذي يفترض أنه بعيد عن المذهبية إلا
أنها تورطت في أشد أشكال الطائفية وأسوأها وتضمنت تحيزاً متأسلاً
ضد الشيعة، الذين وإن كانت لغتهم الأم هي العربية، إلا أنهم حسبوا
غير متساوين مع غيرهم بل من الدخلاء في الأمة وأنهم مواطنون من
الدرجة الثانية في البلاد.

إن إلقاء نظرة خاطفة على (مطالب) الشيعة التي قدمت إلى
الحكومات العراقية المتتابعة في العهد الملكي وهو على سؤته أهون
الشرين بالقياس للعهد الجمهوري يكشف عن معاناة الشيعة في العالم
العربي والإسلامي وهي واحدة، مرجعها إلى عدم الانصاف، ورفض
الاعتراف بهذه المشكلة فضلاً عن حلها..

إن التجارب التي حصلت في بعض البلدان العربية ينبغي أن
تدرس حتى لا تتكرر، فإن تغير وضع الشيعة في لبنان، وفي العراق
أخيراً، لم يتم إلا بعملية جراحية صعبة (حرب أهلية لمدة ١٥ سنة،
وسقوط نظام بواسطة عسكر أجنبي).. فمن المهم أن يفكر المهتمون
بالوضع العربي والإسلامي أن لا تكون هذه (خريطة طريق) وأنه لكي
يتغير وضع الشيعة في منطقة ما فلا بد من مثل هذه العمليات العنيفة!

يتحدث اسحاق نقاش عن هذه المطالب وأنها تتلخص في التالي:

١- تعيين شيعة في البرلمان والحكومة والخدمات بحسب نسبتهم
من السكان.

٢- تدريس الفقه الشيعي في كلية القانون.

(١) د. ولي نصر، صحوة الشيعة، ص ٨٠.

٣- ضم عضو شيعي إلى أقسام المحكمة في قضايا الميراث.

٤- حرية الصحافة.

٥- توزيع عوائد الوقف على كل المؤسسات الإسلامية بما فيها الشيعية.

٦- استثمار موارد حكومية في الصحة والتعليم في مناطق الشيعة.

وأنت ترى عزيزي القارئ أنها من السهولة بمكان، وغاية في

الإنصاف!

الشيعة وفترة الانقلابات على الملكية:

باستثناء فترة عبد الكريم قاسم التي ما بقيت إلا لفترة وجيزة، كانت الحكومات الجمهورية هي الأشد سوءا وسوادا بالنسبة لشيعة العراق الذين صاروا منذ بدايات القرن العشرين أكثرية متصاعدة، فمورس ضدهم الإقصاء الطائفي ضمن عمل مبرمج، وتم العمل على تفتيت الحوزة العلمية بالتدرج، وإهمال مناطقهم.. وتصاعدت المواجهة.. في أيام البعثيين ولا سيما فترة حكومة صدام حسين.. حيث بلغ السيل الزبى!..

— |

| —

— |

| —

تاريخ الشيعة في لبنان

عبر أحد الكتاب عن ما يجري في الوسط الشيعي هنا وهناك بأنه (صحوة الشيعة)، بينما رأى آخر أن هذا القرن هو قرن الوعي بالذات الجماعية الشيعية.

لقد أثار الانتصار الذي أحرزته المقاومة الإسلامية، وتيار أهل البيت عليه السلام في لبنان على العدو الإسرائيلي في واقعتين مهمتين.. التساؤل عن مصادر القوة التي يملكها هذا التوجه، وعن التاريخ الذي جعل منه هذه القوة.

فكيف بدأ التشيع في لبنان حتى وصل إلى هذا المستوى من الكثافة السكانية والقوة السياسية والعسكرية؟.

نظريتان في بداية التشيع

هناك نظريتان في بداية التشيع في لبنان:

١- الأولى هي الرأي المشهور بين أهل منطقة جبل عامل، والذي يقول بأن التشيع قد بدأ بواسطة أبي ذر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه لما بدأ الاعتراض على الاستئثار الأموي أيام الخليفة الثالث، نفى من قبله في البداية إلى الشام، (وجهة ذلك أنه غير معروف بين أهل الشام

كما هو معروف في المدينة بين أصحاب النبي والتابعين الذين يروون في حقه الكثير من الأحاديث المادحة عن رسول الله، بعكس ذلك في الشام حيث لا يعرفون عنه شيئا فلن تجد دعوته في تلك المنطقة صدى أو تأثيرا).. وعندما سير إلى الشام لم يبق في عاصمتها دمشق وإنما سير إلى الأطراف البعيدة، فكان ذلك سببا في أن تنتشر آراؤه في أهل تلك الأطراف خصوصا في الجنوب اللبناني.

وقد يستشهد أصحاب هذا الرأي بوجود مشهدين في الصرند وميس الجبل ينسبان لأبي ذر الغفاري.. وقد تبني هذا الرأي أكثر من كتب في هذه المسألة.. منهم الحر العاملي^(١)، ومنهم السيد محسن الأمين العاملي^(٢) (الذي رتب على هذا القول بأنه سيعد شيعة لبنان بعد بعض أهل المدينة من أولياء أمير المؤمنين، هم أول من قبل التشيع) غير أنهم لا يذكرون مصدر هذا القول المشتهر بين الناس.

٢- الثانية ما ذهب إليه باحث معاصر وهو الشيخ جعفر المهاجر،

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ص ١٤.
(٢) خطط جبل عامل، وأيضا ذكر ذلك المحقق الطهراني آقا بزرك في مقدمة كتاب الصراط المستقيم فقال: وكان غارس بذرة التشيع في تلك البلاد، من الشام وما والاها، هو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري، فقد نفاه عثمان إلى الشام فالتف أهلها حوله، وتنقل في بعض قراها وكان لدعوته أثرها الطيب، ولغرسه ثمره الجني، فقد تشيع على يده يومذاك كثير من الناس، ونا التشيع شيئا فشيئا في تلك الأطراف حتى أصبحت عاملة من بلاد الشيعة المعدودة.. راجع الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي: ج ٢، ص ٥.. وقد عزا ذلك إلى تاريخ اليعقوبي الجزء الثاني، وبالرغم من البحث في الكتاب المذكور إلا أنه لا يتبين شيء واضح مما ذكر، فإن اليعقوبي ذكر كما ذكر غيره حوادث نفي أبي ذر الغفاري إلى دمشق ثم إلى المدينة وأخيرا الربرة، من دون إشارة إلى ذهابه أو تأثيره المذهبي في جبل عامل بلبنان، والذي كان قصيا بحسب مقاييس ذلك الزمان عن دمشق.. ومنهم الشيخ السبحاني في كتابه أضواء على عقائد الشيعة ٣٢٠.

الذي فند هذا الرأي في كتابه التأسيس لتاريخ شيعة لبنان وسورية، واعتبره أسطورة، بل رأى أن العملية هي عملية إسقاط، فكما أن أهل جبل عامل كانوا قد رفضوا الاتجاه الرسمي فعوقبوا على ذلك بإبعادهم وإقصائهم وتهجيرهم، كان أبو ذر وما عاشه من المعاناة أفضل نموذج لهم.. ليتمثلوه، ورأى أن المشهدين في الصرند وميس الجبل، هما أشبه بالنصب الذي يقام في البلدان لتكريم بعض الشخصيات^(١)..

واختار رأياً آخر وهو أن تشيع لبنان كان على اثر هجرة ضخمة من القبيلة الشيعية المعروفة همدان، التي تكامل قدومها إلى الكوفة بعد انتقال الإمام علي إلى الكوفة واتخاذها عاصمة له سنة ٣٦ هـ (بعد حرب الجمل) مباشرة، وإن كانت قد بدأت الهجرة إليها منذ تأسيسها الكوفة حوالي سنة ١٧ هـ، فإنها كانت القبيلة الأكثر عددا حينئذ بين القبائل القادمة والتي استوطنت الكوفة.

ونحن نعتقد أن ما ذهب إليه الباحث المهاجر هو الأقرب إلى الصحة، لوجود قرائن كثيرة تشير إليه وتدلل عليه وسوف نتعرض إلى ذكر ما قاله بتلخيص.

قبيلة همدان الشيعية

أسلمت على يد أمير المؤمنين في اليمن، حيث أقام فيهم سنة: الثامنة أو التاسعة كما في السيرة الحلبية. وكانت الكوفة محل إقامة الهمدانيين، وتعد من أكبر القبائل التي استوطنت الكوفة عند تأسيسها، وفيما بعد حيث تتابعت هجرة أفرادها من اليمن^(٢).. وكانوا في الحروب

(١) التأسيس لتاريخ شيعة لبنان وسورية: ص ٣٥.

(٢) اليمن كان الخزان البشري لهجرات متعددة منها بنو قبيلة الذين هاجروا إلى الحجاز

مع الإمام علي عليه السلام ولم يكن مع معاوية أي أحد من همدان كما نقل عن مروج الذهب.

ويقدر عددهم في الكوفة التي كانت أسبعا بما بين ٤٠- إلى ٥٠ ألفا، باعتبار أن عدد الكوفة كما في فتوح البلدان، وخطط الكوفة حدود ٣٠٠ ألف^(١)..

يعتقد المؤلف أن قبيلة همدان التي كانت الأولى في الكوفة من حيث العدد والدور، تراجع وضعها للغاية بعد سيطرة معاوية على الأمور، إلى حد أن الباحث يرى كأنهم قد تبخروا من الكوفة، وآخر مشاركة فاعلة لديهم كانت أيام الإمام الحسن المجتبي، فإنهم لم يشتركوا بفاعلية في قضية كربلاء.. ولا في حركة التوابين، بل ولا المختار ولا ذكر لها أيضا في حركة عبد الرحمن بن الأشعث.. وهي فترة طويلة (٦١- ٨٣).. وهذا كله يشير إلى هجرة همدان من الكوفة في معظمها.. تماما مثلما حدث للأشعريين (من مذحج) الذين هاجروا من الكوفة على اثر هزيمة بن الأشعث وقد كانوا شاركوا معه! واتجهوا إلى قم (ويأتي الحديث عن هذه الجهة في تشيع إيران).

شيء عن إسلام اليمن ودور همدان:

يتحدث كتاب السيرة عن أن النبي صلى الله عليه وآله قد بعث الإمام عليا عليه السلام

واستقروا في المدينة وعرفوا فيما بعد باسم الأوس والخزرج. ومنهم عاملة التي هاجرت في وقت مبكر إلى لبنان، وسكنت الجبل الذي سمي بعد ذلك باسمها، ويعتقد أن هجرة بني عاملة إلى الجبل كانت حوالي ٣٣٢ قبل الميلاد. راجع سيد حسن الأمين دولة الموحدين وكتابات أخرى.

(١) قد يرد تقريب آخر للعد في الحديث عن التشيع في العراق، وذلك قد يكون راجعا إلى اختلاف الفترات الزمنية، أو اختلاف أصحاب التقدير السكاني.

إلى اليمن في آخر سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد فتح مكة، بعثه إلى همدان ليدعوهم إلى الإسلام فأسلمت همدان كلها في يوم واحد قال المفيد رحمته الله في الارشاد: ومن ذلك ما أجمع عليه أهل السيرة أن النبي صلى الله عليه وآله بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام وانفذ معه جماعة من المسلمين فيهم البراء بن عازب رحمه الله وأقام خالد على القوم ستة أشهر يدعوهم فلم يجبه أحد منهم فساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فدعا أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يقفل خالدًا ومن معه وقال له إن أراد أحد ممن مع خالد أن يعقب معك فاتركه، قال البراء فكنت ممن عقب معه فلما انتهينا إلى أوائل أهل اليمن وبلغ القوم الخبر تجمعوا له فصلى بنا علي الفجر ثم تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ على القوم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلمت همدان كلها في يوم واحد وكتب بذلك أمير المؤمنين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما قرأ كتابه استبشر وابتهج وخر ساجدا شكرا لله تعالى ثم رفع رأسه وجلس وقال السلام على همدان ثم تتابع بعد إسلام همدان أهل اليمن على الإسلام.

وقال ابن الأثير أنه قال السلام على همدان ثلاثا وفي السيرة الحلبية كان رسول الله صلى الله عليه وآله ارسل خالد بن الوليد إلى اليمن لهمدان يدعوهم إلى الإسلام قال البراء فكنت ممن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا ثم أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وأمره أن يقفل خالدًا ويكون مكانه فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا وصلى بنا علي ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله بإسلامهم فأسلمت همدان جميعا^(١).

(١) الشافعي مختصرًا في كتاب الأم، ج ١، ص ١٥٩: والسيد الأمين مفصلا في أعيان الشيعة: ج ١، ص ٤١٠.

إسلام همدان بهذا الشكل (الدراماتيكي) والسريع، وقبولهم الدين على يد الإمام علي عليه السلام في يوم واحد، بينما مكث فيهم غيره مدة من الزمن ولم يقبلوا منه، حدد وجهتهم المستقبلية في الولاء القوي للإمام عليه السلام، ومناصرتهم إياه واختيارهم طريقه عندما تفرقت الطرق بالمسلمين.

وكانت حروب الإمام عليه السلام أيام خلافته الظاهرية هي الميدان الذي ظهرت فيه تضحيات الهمدانيين.. ففي حرب الجمل فكانوا يتنافسون مع ربيعة في الفوز بالوسام الأعلى للتضحية والقتال بين يدي الإمام عليه السلام، ويبادرون لمنازلة أعدائه كما قال سعيد بن قيس الهمداني قائدهم فيها:

قل للوصي أقبلت قحطانها فادع بها تكفيكها همدانها
هم بنوها وهم إخوانها

وأما في حرب صفين، فقد «قتل بنو همدان خلقا كثيرا من أهل الشام، فقال معاوية: بنو همدان أعداء عثمان»^(١).

وشكر لهم الإمام علي عليه السلام موقفهم ذلك، فمدحهم نثرا وشعرا، ومما يؤثر عنه فيهم قوله:

ولما رأيت الخيل تفرع بالقنا فوارسها حمر العيون دوامي
ونادى ابن هند ذا الكلاع ويحصبا وكندة في لحم وحي جذام
تيممت همدان الذين هم إذا ناب أمر جنتي وسهامي
وناديت فيهم دعوة فأجابني فوارس من همدان غير لئام
فوارس من همدان ليسوا بعزل غداة الوغا من يشكر وشبام

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٣٥٦.

ومن أرحب الشم المطاعين بالقنا ورهم وأحياء السبيع ويام
ومن كل حي قد أتتني فوارس ذوو نجدات في اللقاء كرام
بكل رديني وعضب تخاله إذا اختلف الأقسام شعل ضرام
يقودهم حامي الحقيقة منهم سعيد بن قيس والكريم يحامي
فخاضوا الظاهرا واصطلوا بشرارها وكانوا لدى الهيجا كشر مدام
جزى الله همدان الجنان فإنهم سهام العدى في كل يوم خصام
لهمدان أخلاق ودين يزينهم ولين إذا لاقوا وحسن كلام
أناس يحبون النبي ورهطه سراع إلى الهيجا غير كهام
فلو كنت بوابا على باب جنة أقول لهمدان ادخلوا بسلام^(١)

وبرز منهم في صحابته غير واحد من الرجال والنساء، فمنهم
سعيد بن قيس الهمداني، قائد همدان في صفين والذي تقدم ذكره في شعر
الإمام عليه السلام باعتباره حامي الحقيقة! وكان المسارع في الاجابة للامام
عندما استنهض الناس لقتال أهل الشام، فقد قام هذا قائلاً: يا أمير
المؤمنين والله لو أمرتنا بالمسير إلى قسطنطينية ورومية مشاة حفاة على
غير عطاء ولا قوة ما خالفتك أنا ولا رجل من قومي، قال: فصدقتم
جزاكم الله خيراً^(٢). وعندما اختلف الناس في قضية رفع المصاحف
جاء سعيد بن قيس في قومه للامام ينتظرون منه الأمر قائلاً: ها أنا ذا
وقومي لا نرادك ولا نرد عليك فمرنا بما شئت. قال عليه السلام اما لو كان
هذا قبل سطر الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم أو تنفرد سالفتي قبل
ذلك، ولكن انصرفوا راشدين، فلعمري ما كنت لأعرض قبيلة واحدة
للناس^(٣).

(١) الأحمدي الميانجي، مكاتيب الرسول: ج ٢، ص ٦٧٦.

(٢) إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات: ج ٢، ص ٦٣٧.

(٣) نهج السعادة، الشيخ المحمودي: ج ٨، ص ٤٧٣ / ٤٧٤.

ومنهم الحارث (الأعور) بن عبد الله الهمداني الذي أثنى عليه بالإضافة إلى علماء الشيعة، عدد من رجاليي السنة فقد «عده ابن قتيبة في المعارف ص ٣٠٦ من الشيعة في عداد صعصعة بن صوحان وأصبع بن نباته وأمثالهما، وترجم له الذهبي في (ميزان الاعتدال)، ج ١ ص ٢٠٢ وقال: من كبار علماء التابعين. ونقل هو وابن حجر في تهذيب التهذيب ص ١٤٥ عن أبي بكر ابن أبي داود أنه قال: كان الحارث أفقه الناس وأحسب الناس، وأفرض الناس، تعلم الفرائض من علي عليه السلام. وفي (خلاصة تهذيب الكمال) ص ٥٨: انه أحد كبار الشيعة»^(١).

وكان من كتاب علم أمير المؤمنين عليه السلام، فقد نادى الإمام عليه السلام: من يشتري علما بدرهم، فقام الحارث واشترى صحفا بدرهم، وجاء إلى الإمام فكتب له علما كثيرا، حتى قيل إنه ليس أحد أعلم بفريضة منه^(٢).. وكان يخصه بمحبته ويادله إياها كما ذكر ذلك العلامة الأميني في الغدير فقال: ورد قوم من الشيعة على الإمام وهو فيهم فجعل يعني الحارث يتأود في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه وكان مريضا فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام وكانت له منه منزلة فقال: كيف تجدك يا حارث؟!.

قال: نال الدهر مني يا أمير المؤمنين! وزادني أوارا وغليلا اختصام أصحابك ببابك!.

قال: وفيهم خصومتهم؟ قال: في شأنك والبلية من قبلك، فمن مفراط غال، ومقتصد قال، ومن متردد مرتاب، لا يدري أيقدم أو يحجم.

(١) الغدير، ج ١١، ص ٢١٨.

(٢) الغارات، ج ٢، ص ٧١٨.

قال: فحسبك يا أخا همدان؟ ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط،
إليهم يرجع الغالي وبهم يلحق التالي.

قال: لو كشفت فذاك أبي وأمي الرين عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك
على بصيرة من أمرنا.

قال: فذاك فإنه أمر ملبوس عليه، إن دين الله لا يعرف بالرجال
بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف أهله، يا حار! إن الحق أحسن الحديث
والصادع به مجاهد، وبالحق أخبرك فأعزني سمعك ثم خبر به من كانت
له حصانة من أصحابك ألا إني عبد الله وأخو رسوله و صديقه الأول
في امتكم حقا، فنحن الأولون ونحن الآخرون، ألا وأنا خاصته يا
حار! وخالصته و صنوه ووصيه ووليه صاحب نجواه وسره، أوتيت
فيهم الكتاب وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب، واستودعت
ألف مفتاح يفتح كل مفتاح ألف باب يفضي كل باب إلى ألف ألف
عهد وأيدت. أو قال: امددت بليلة القدر نفلا، وإن ذلك ليجري لي
ومن استحفظ من ذريتي ما جرى الليل والنهار حتى يرث الله الأرض
ومن عليها.

وأبشرك يا حارث! ليعرفني والذي فلق الحبة وبرء النسمة وليي
وعدوي في مواطن شتى، ليعرفني عند الممات وعند الصراط وعند
المقاسمة قال: وما المقاسمة يا مولاي؟! قال: مقاسمة النار أقاسمها
قسمة صحاحا أقول: هذا وليي وهذا عدوي..

ومنهم غير واحدة من النساء الهمدانيات اللاتي كن يشجعن
أقاربهن في المعركة على قتال جيش معاوية ونصرة الإمام عليه السلام، حتى
استقدمهن معاوية فيما بعد استشهاد الإمام لتوبيخهن ولكن كان

مواقفهن في تلك الحوادث شجاعة وصامدة كمواقفهن في الحروب..
منهن سودة بنت عمارة التي وفدت على معاوية بن أبي سفيان لها فلما
دخلت عليه قال هيه يا بنت الأسك الست القائلة يوم صفين:

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان
ان الإمام أخو النبي محمد علم الهدى ومنارة الإيمان
فقه الحتوف وسر أمام لواءه قدما بأبيض صارم وسنان
قالت: إي والله ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب!.

قال لها: فما حملك على ذلك؟. قالت: حب علي عليه السلام واتباع الحق!.

قال: فوالله ما أرى عليك من اثر علي شيئا.

قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين وإعادة ما مضى وتذكارة ما قد
نسي. قال: هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى وما لقيت من أحد ما لقيت
من قومك وأخيك. قالت صدق فوك لم يكن أخي ذميم المقام ولا خفي
المكان كان والله كقول الخنساء:

وان صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

قال: صدقت! لقد كان كذلك. فقالت: مات الرأس وبتر الذنب وبالله
أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيت منه!. قال: قد فعلت فما حاجتك؟.

قالت: انك أصبحت للناس سيذا ولأمرهم متقلدا والله سائلك
من أمرنا وما افترض عليك من حقنا ولا يزال يقدم علينا من ينوه
بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر
ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة! هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من

قبلك فقتل رجالي واخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما
عزلته عنا فشكرناك وأما لا فعرفناك!.

فقال معاوية: أتهديني بقومك لقد هممت ان أحملك على قتب
أشرس فأردك إليه ينفذ فيك حكمه فأطرقت تبكي ثم تقول:
صلى الاله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا
قال لها: ومن ذلك؟ قالت: علي بن أبي طالب عليه السلام!
قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟.

قالت: قدمت عليه في رجل ولاه صدقتنا قدم علينا من قبله
فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين فاتيت عليا عليه السلام لأشكو إليه
ما صنع بنا فوجدته قائما يصلي فلما نظر إلي انفتل من صلاته ثم قال
لي برأفة وتعطف ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر فبكى ثم قال: اللهم انك
أنت الشاهد علي وعليهم اني لم أمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقتك ثم
اخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجواب فكتب فيها (بسم الله
الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط
ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير
لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما
في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام فأخذته
منه والله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقراته.

فقال لها معاوية: لقد لظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان
فبطيئاً ما تفظمون!.

ثم قال: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها! قالت: إلي خاص أم لقومي عام؟.

قال: ما أنت وقومك قالت هي والله اذن الفحشاء واللوم ان لم يكن عدلا شاملا وإلا فانا كسائر قومي قال اكتبوا لها ولقومها^(١).
ومنهن الزرقاء الهمدانية وغيرهما..

كان من الطبيعي وقد بدأ الضغط على أنصار الإمام في الكوفة وتعرضهم لصنوف الاضطهاد السياسي والحرمان المالي، والإيذاء الاجتماعي^(٢).. وكل ذلك كان بمراسيم حكومية كما يذكر المدائني في

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء: ٣٠.

(٢) بلغ ذروة ذلك في أيام الحجاج الثقفي، فيها هو يجبر زعيم همدان، أن يزوج ابنته صاغرا من شخص من حي من قحطان أعداء همدان العقديين ومقاتليهم في صفين كما نقله أهل السير: فقد وروى ابن الكلبي عن أبيه، عن عبد الرحمن بن السائب، قال: قال الحجاج يوما لعبد الله بن هانئ - وهو رجل من بني أود - حي من قحطان، وكان شريفا في قومه قد شهد مع الحجاج مشاهدته كلها وكان من أنصاره وشيعته - : والله، ما كافأتك بعد، ثم أرسل إلى أسماء بن خارجة سيد بني فزارة أن زوج عبد الله بن هانئ بابنتك، فقال: لا، والله، ولا كرامة، فدعا بالسياط، فلما رأى الشر قال: نعم أزوجه، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية زوج بنتك من عبد الله بن أود، فقال: ومن أود؟ لا والله لا أزوجه ولا كرامة، فقال: عليّ بالسيف، فقال: دعني أشاور أهلي، فشاورهم فقالوا: زوجه ولا تعرض نفسك لهذا الفاسق، فزوجه. فقال الحجاج لعبد الله: قد زوجتك بنت سيد فزارة وبنت سيد همدان وعظيم كهلان وما أود هناك!، فقال: لا تقل - أصلح الله الأمير - ذاك، فإن لنا مناقب ليست لأحد من العرب، قال: وما هي؟ ما سب أمير المؤمنين عبد الملك في ناد لنا قط. قال: منقبة والله، قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا، ما شهد منا مع أبي تراب إلا رجل واحد وكان والله ما علمته امرء سوء، قال: منقبة والله، قال: ومنا نسوة نذرنا إن قتل الحسين بن علي أن تنحر كل واحدة عشر قلائص، ففعلن، قال: منقبة والله، قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل وزاد ابنه حسنا وحسينا وأمهما فاطمة، قال: منقبة والله.. (راجع: شرح النهج، ج ٤، ص ٦١).

كتابه الأحداث، وغيره من مؤرخي تلك الفترة أن يختار هؤلاء المواجهة أو المهاجرة أو المهادنة.. ولم تكن الظروف تتحمل الخيار الأول، ولا أنفسهم تتحمل الخيار الأخير فبقي المتوسط وهو أن يهاجروا إلى أماكن بعيدة عن مركز الاضطهاد.. ولهذا فعلى اثر الأحداث التي تلت (عام الجماعة) هاجر الهمدانيون من الكوفة، وتوجهوا إلى جهتين: سكن قسم منهم حمص (الشام)، ومضى القسم الآخر إلى بعلبك بلبنان.. وربما يشير إلى هذا الوجود في حمص خطاب عبد الملك لهم بأنهم أهل الكويقة مقررعا ومعرضا..

بينما أشار ياقوت الحموي بأن أهل حمص كانوا اشد الناس على علي ومع معاوية (في أول الأمر) فلما انقضى ذلك الزمان صاروا من (غلاة الشيعة). وهذا يشير إلى الأثر على الصعيد المذهبي الذي خلفه الهمدانيون في الحميريين الذين سكنوا إلى جانبهم في حمص وقد كانت همدان من جملة القبائل التي سكنت حمص كما يقول ابن واضح اليعقوبي في كتابه البلدان^(١).



بطبيعة الحال لن يكون الحديث عن هذه المناطق ضمن المفهوم السياسي الحديث لها كأجزاء من دول تفصلها حدود عن بعضها، بل ينبغي أن يكون الحديث ضمن المنظور التاريخي الذي كان يعتبر هذه المناطق واحدة من الناحية الجغرافية. ولذلك يمكن القول أن مناطق حلب وجبله واللاذقية في الساحل السوري، وطرابلس وبعليك في لبنان كانت منطقة واحدة من حيث سكن القبيلة الهمدانية وتأثيرها في

(١) التأسيس: مصدر سابق.

جوارها من القبائل العربية الأخرى.

بل امتد التشيع إلى أطراف فلسطين والأردن، فهذا المقدسي في أحسن التقاسيم يقول (ح ٣٧٥): أهل طبرية ونصف نابلس وقُدس وأكثر عمّان شيعة.. وأهل طبرية هم قوم من الأشعريين كما في بلدان اليعقوبي (والأشعريون من مذحج) نسبا، وإخوة همدان عقيدة ومذهبا. كما كان التشيع موجودا في ديار بكر، ويشير إلى ذلك أن أسرة مؤسس الدولة الحمدانية كانت في تلك الديار.

منتصف القرن الرابع: طور وضوح الحالة الشيعية:

يمكن اعتبار القرن الرابع الهجري وما بعده طور وضوح الحالة الشيعية في المنطقة الشامية (شمال الشام ولبنان) ففي هذه الفترة استطاع الحمدانيون السيطرة على حلب والموصل ثم دمشق وما جاورها.. وبالرغم من أنهم شجعوا الأدب والثقافة والعلم عموما، إلا أن حرصهم على إبراز الحالة الشيعية كان واضحا، وما قصائد أبي فراس الحمداني، إلا شاهد على ذلك. ونحن لا نستطيع أن نقبل ما ذكره الباحث المهاجر من اعتباره (فترة الحمدانيين من باب الانتهازية العسكرية فرض عليها فرضا أن تتخذ قناعا شيعيا بسبب الحاجة إلى التماهي والتجانس مع الجمهور)^(١)، فهو وإن صح أن الجمهور كان شيعيا في حلب في تلك الفترة، إلا أن ذلك لا ينفي كون مذهبية الحمدانيين عقديّة!

« قال ياقوت: حلب مدينة عظيمة طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء اه، دخلها التشيع قبل عهد الحمدانيين وانتشر وقوي فيها على عهدهم قال ابن كثير الشامي في تاريخه: كان مذهب الرفض فيها في أيام

(١) التأسيس ٨٦: مصدر سابق.

سلطنة الأمير سيف الدولة بن حمدان رائجاً رواجاً تاماً»^(١).

هذا في حلب وأطرافها، وأما بعلبك فيشير أبو واضح اليعقوبي في كتابه البلدان إلى أن في أطراف بعلبك قوماً من اليمن، وكان ذلك في أواخر القرن الثالث^(٢).

ويلاحظ أن في بعلبك باباً باسم باب همدان، وكما يصرح الذهبي بغلبة (الرافضة) على تلك الناحية.

دولة بني عمار في طرابلس:

يتحدث المؤرخون^(٣) عن دولة شيعية نشأت في طرابلس الشام (تميزها عن طرابلس الغرب في ليبيا)، فإن بني عمار كانوا شيعة من سادات كتامة من بلاد المغرب وجاءوا منها إلى مصر مع الفاطميين ثم جاءوا إلى طرابلس الشام وكانوا قضاتها وحكامها، وكان أهل طرابلس الشام في ذلك العصر إمامية اثني عشرية.

وبقيت بأيديهم نحواً من ٨٠ سنة من أواسط القرن الخامس الهجري إلى سنة ٥٠٢هـ، حين أخذها منهم الفرنج في الحروب الصليبية.

ويذكر كما في دائرة المعارف الإسلامية اسم بني عمار مقروناً بمدينة طرابلس في أوج عظمتها. وكما كانت حلب في عهد سيف الدولة الحمداني مركزاً للشعر كذلك كانت طرابلس في عهد القاضي الحسن بن عمار مركزاً ممتازاً للحركة العلمية، فقد كان فيها مكتبة يقال

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ١/ ٢٠٠.

(٢) المهاجر، جعفر، في التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية.

(٣) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ٥/ ٢١٧.

إنها كانت تضم ما يربو على مائة ألف مجلد. كتاب ومن هذه المكتبة انتشر العلم في انحاء المدينة حتى قال المؤرخون ان طرابلس صارت جميعها دار علم وفي هذه المكتبة مائة وثمانون رجلا لا عمل لهم الا نسخ الكتب يتناولون مقابل صناعتهم مرتبات ولها أناس مخصصون للبحث عن الكتب وشرائها لجمعها في هذه المكتبة.

وأما ناصر خسرو فقد وصف طرابلس في الثلث الأول من القرن الخامس (سنة ٤٣٨) بأن سكانها شيعة وأنهم شيدوا مساجد جميلة في كل البلاد. وعندما وصل إلى (صور) في الجنوب، ذكر أن أكثر أهلها شيعة.

ويعطينا ابن جبير الاندلسي صورة عن دمشق وقد زارها في ٥٨٠هـ، فقال في كتابه الرحلة: وللشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة وهم أكثر من السنين بها، وقد عمروا البلاد بمذاهبيهم المختلفة! ثم يتحدث عن المشاهد المرتبطة بآل البيت في الشام.

كما أن تواجد علماء الطائفة في المنطقة يشير إلى وجوده التشيع وتأصله فيها.. وذلك أن انبعثت حركة علمية وبروز علماء من نفس المنطقة لا بد أن ينبىء عن وجود جماهيري مهم، ينبعث منهم ﴿طَائِفَةٌ لَيَسُفَقَهُوا فِي الدِّينِ﴾.

علماء على مستوى الطائفة وعوائل علمية:

ولو تأملنا في تلك الفترة لوجدنا أن المنطقة قد أبرزت علماء ليسوا على مستوى منطقة سورية أو لبنان بل كانوا بمستواهم على مستوى علماء الطائفة الكبار! بل برز في تلك المنطقة ظاهرة العوائل العلمية مثل (آل أبي شعبة) و (بني زهرة).

فمن علماء تلك المنطقة في تلك الفترة:

* الشيخ علي بن الحسن بن شعبة: مؤلف الكتاب القيم (تحف العقول عن آل الرسول).. توفي في حدود ٣٧١هـ، قال عنه السيد حسن الصدر في كتابه تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: «شيخنا الأقدم وإمامنا الأعظم له كتاب تحف العقول فيما جاء في الحكم والمواعظ عن آل الرسول، كتاب جليل لم يصنف مثله...».

* الشيخ أبو الصلاح تقي الدين بن نجم الحلبي صاحب كتاب الكافي في أصول الدين وفروعه (٣٤٧-٤٤٧هـ) والذي ترجمه الشيخ الطوسي مع أنه استأذنه فقال: تقي الدين بن نجم ثقة له كتب قرأ علينا وعلى المرتضى^(١) كما ذكره الشهيد الثاني بقوله: «الشيخ الفقيه السعيد خليفة المرتضى في البلاد الحلبية».

* والشيخ أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي الطرابلسي (ت ٤٤٩هـ) صنف كتباً كثيرة جداً، وهو من تلامذة الشيخ المفيد، والشريف المرتضى، أخذ عنهما ثم عاد إلى بلده طرابلس وبقي فيها، ويظهر من مقدمة بعض كتبه انتشار الشيعة في أنحاء متعددة من لبنان، فقد كتب كتاب (انتفاع المؤمنين من أموال السلاطين) للإخوة في صيدا، وأحكام النكاح للأمير ذخر الدولة في صيدا، وكتب (الأصول في مذهب آل الرسول) وكان ذلك للإخوة بصور، وكتاب (الرسالة الناصرية) لناصر الدولة في دمشق.

* الشيخ أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن براج الطرابلسي (ت ٤٨١هـ)، تلميذ السيد المرتضى، وزميل الشيخ الطوسي في ذلك

(١) رجال الطوسي، ص ٤٥٧.

وتلميذه بعد المرتضى، المعروف بالقاضي ابن البراج صاحب كتاب (المهذب) في الفقه والجواهر، المعالم، المنهاج، الكامل، روضة النفس في أحكام العبادات الخمس، المقرب، المهذب، التعريف، شرح جمل العلم والعمل للمرتضى رَحِمَهُ اللهُ، تولى قضاء طرابلس عشرين سنة وقيل ثلاثين سنة..

* السيد أبو علي ابن أبي الفضل المجد الحلبي صاحب كتاب (إشارة السبق إلى معرفة الحق) في أصول الدين وفروعه، والذي يرى بعض العلماء أنه كان معاصراً للشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ).

* والسيد أبو المكارم بن زهرة صاحب كتاب غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع (٥١١ - ٥٨٥ هـ).

الشيعة يواجهون المغول في البقاع^(١):

عندما وصل المغول إلى البقاع اللبناني سنة ٦٥٨ هـ، كان هناك موقفان: موقف غير شيعي، تزعمه تقي الدين الحشائشي، وهو طبيب شعبي استفاد من خبرته بالطب الشعبي، ليقدم للمغول الوصفات الطبية، وأنقذ جماعته بعد أن تزعم وفداً إلى دمشق وعاد من المغول بصك أمان!

وموقف شيعي نادى فيه بالجهاد فقيه شيعي بعلبكي هو أحمد بن الحسن بن ملي بعلبكي، (٦١٧ - ٦٩٩ هـ) وظل يشن الغارات على طريقة حرب العصابات على المغول وكان معه قريب من عشرة آلاف شخص!^(٢)

(١) للتفصيل في هذا الموضوع راجع التأسيس لتاريخ الشيعة: مصدر سابق.
(٢) هنا لا بد أن نشير إلى سياسة الكيل بمكاييل متعددة عند بعض الطائفيين، فهم هنا

بعد اندحار المغول برز آل حرفوش (الخرافشة) كعائلة شيعية وصاروا أسياد المنطقة.. وشادوا فيها المساجد وظلت أمارتهم لمدة قرنين من الزمان. وفي نفس الفترة برزت كرك نوح غرب البقاع كمركز علمي شيعي.

القرن الثامن ومرجعيات شيعية:

ظهر للشيعية علماء ومجتهدون على مستوى عال من المعرفة، حتى تجاوزوا محيطهم المحلي في مرجعيتهم إلى بقية أنحاء العالم الشيعي.

* فهذا الشيخ محمد بن مكّي العاملي (الشهيد الأول): (٧٣٤-٧٨٦هـ)، يُطلب من قبل حكومة (السربدارية) التي تأسست في خراسان على يد الشيعة الاثني عشرية بعد ثورتهم على المغول، ليكون شيخ الإسلام في تلك الدولة الناشئة، الأمر الذي اعتذر عنه، وكتب لهم (اللمعة الدمشقية) في فروع الفقه. وقد جاء في ترجمته أنه قرأ على علماء جبل عامل. قبل أن يذهب إلى العراق. كما كان يتردد على دمشق لارشاد المؤمنين فيها، وبعض كتبه ألفها أيام كونه فيها. وهذا يشير إلى توطن العلم الديني في جنوب لبنان حيث كانت بلدته.. وانتشار الحالة الشيعية إلى دمشق.

لا يرون بأساً في قيام هذا الزعيم الاجتماعي بتأمين وضع قبيلته وقومه وأهل مذهبه، ووقايتهم من المواجهة مع المغول الذين كانوا كالعاصفة تقتلع ما أمامها، فوصل إلى نتيجة أن من الحكمة أن يأخذ الأمان لهم.. وقد نختلف أو نتفق معه لكن هذا تقديره لمصلحة قومه في ذلك الزمان.. ولكن من الخطأ أن نحسب هذا تأمراً من قبل أهل السنة مع المغول وسعيًا منهم لتثبيت احتلالهم لبلاد الإسلام، فهلا وسع الفيلسوف العالم نصير الدين الطوسي وعلماء الحلة الفقهاء من العذر ما وسع تقي الدين الحشاشي!

بل إنه « قد استحدث الشهيد الأول نظاما خاصا لجباية الخمس وتوزيع العلماء في المناطق، وكان لهذا العمل الفكري والثقافي والتنظيمي الذي نهض به الشهيد ومن خلفه من فقهاء الشيعة دور كبير في حفظ التشيع في بلاد الشام»^(١).

وقد تكرست (كرك نوح في بعلبك)^(٢) كحاضرة علمية مهمة لدراسة العلم الديني الجعفري، فانجبت شخصية بمستوى الشيخ علي عبد العال المعروف بالمحقق الكركي الشيخ علي بن عبد العال (ت ٩٤٠هـ) صاحب جامع المقاصد والذي كانت دراسته في معظمها في تلك المنطقة والذي بقي في بلده كرك مدرساً ومفتياً إلى أن استدعاه الشاه طهماسب الصفوي ليكون شيخ الإسلام في بلاد إيران.

« إن إنجاب الجماعة الشيعية لفقهاء، علامة لا تخطئ في أمرين هامين يتصلان بدرجة وعي هذه الجماعة وبالظروف التاريخية التي

(١) الغروي محمد هادي في مقدمة رياض المسائل: ج ١، ص ٦٦.

(٢) كانت بلدة الكرك معقلاً للشيعة منذ الفتح الإسلامي، بسبب وجود بعض القبائل الموالية للإمام علي عليه السلام مع الجيوش التي فتحت بلاد الشام ودخلت البقاع، أمثال الهمدانيين وخزاعة التي تفرع منها الخرافشة (!)، وحتى الأوزاعي الذي درس في الكرك يبدو متأثراً بطريقة الشيعة في الرواية عن أهل البيت. وانحصرت تراجم الأعلام الكركيين الذين عثرت عليهم في بطون الكتب خلال قرون عدة على الشيعة فقط، ولم أقع على ترجمة واحدة لعالم كركي من المذاهب الأربعة. وازدهرت مدرسة الكرك في القرنين العاشر والحادي عشر وبلغت درجة مرموقة من حيث عدد العلماء والطلاب، وأنواع العلوم التي تعطى وطرق التدريس، فقصدها طلاب المعرفة من مختلف الأقطار، وخصوصاً من جبل عامل، أمثال الشهيد الثاني زين الدين الجبعي، الذي رحل إلى كرك نوح طلباً للأخذ من مشايخها، يرافقه الشيخ حسين بن عبد الصمد -والد البهاء- ومن العلماء الذين أموا الكرك وقرأوا على مشايخها علي بن هلال الجزائري... راجع: جامع المقاصد، المحقق الكركي، ج ١، تكملة مقدمة التحقيق: ص ٢٨.

تجتازها: أولهما: أن هذه الجماعة تدرك ذاتيتها الثقافية بل وخصوصيتها وتميزها. وثانيهما: أنها تملك الفرص لممارسة هذه الذاتية ضمن حد أدنى على الأقل من الشروط، منها: قسط كاف من الحرية والشعور بالأمن تستند ولا بد على وضع اجتماعي قوي ومطمئن..»^(١).

فكيف إذا كان الفقيه على مستوى أن يكون شيخ الإسلام في البلاد الإيرانية؟.

* الشهيد الثاني زين الدين بن علي (٩١١ - ٩٦٦ هـ). وقد بدأ دراسته في منطقته، ثم في بلد الشيخ علي عبد العال الكركي على يده، غير أنه لم يلبث أن تجول في أكثر من بلد طلبا للعلم ولا سيما على يد علماء السنة، فذهب إلى دمشق ومصر ودرس على ستة عشر من علمائها، غير أن النقطة التي تشير إلى تحول اجتماعي هو سفره إلى القسطنطينية (سنة ٩٥٢ هـ) حيث أعجب به القاضي هناك قطب الدين الرومي بعدما ألف له رسالة فيها عشرة علوم من العلوم العقلية والفقه والتفسير، فعظم عنده مكانه وطلب منه أن يختار أي مدرسة يدرس فيها، فاختار المدرسة النورية في بعلبك، وأقام في بعلبك وكان يفتي على المذاهب الخمسة وعاشر أهلها مدة من الزمان بأفضل حال. ولأول مرة فيما نعهد يعهد بكرسي التدريس بهذا النحو في مدرسة خاضعة للحكم العثماني لعالم شيعي..

وعندما عاد إلى موطنه كان محط الاهتمام الاجتماعي، مما أثر فيما نعتقد على موقعية القاضي الرسمي العثماني في صيدا (معروف) وهذا ما نلاحظه في تقاضي الناس عند الشهيد، وانتشار فضله^(٢) وتأثيره وما سبب من انتشار

(١) التأسيس، ص ١١١.

(٢) بلغت مؤلفاته (٧٩ كتابا) منها: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ومسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام، روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، تمهيد

التشيع في تلك المنطقة (يلاحظ من خلال شكوى هذا القاضي الكيدية عليه)، الأمر الذي جعل هذا الأخير يتأمر عليه حتى استشهد رَحِمَهُ اللهُ.

* ومن أولئك الشيخ البهائي. محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي (٩٥٤-١٠٣٠هـ).

ينتمي إلى الأسرة العربية المعروفة (همدان) التي قال فيها الإمام أمير المؤمنين (فلو كنت بوابا على باب جنة..). كان أبوه بمنزلة عالية من الشاه طهماسب الصفوي، حيث طلبه ليرشد الناس في إيران ويتولى القضاء.

كانت له اسفار كثيرة استغرقت حوالي ٣٠ سنة. إلى مصر وفلسطين ودمشق وحلب والحجاز.. وله في كل منطقة مناظرات وتعليم أو تعلم، ذكر بعض ذلك في كتابه سوانح سفر الحجاز. فيما بعد اختص به الشاه عباس الصفوي، وقربه وكانت له علاقة مميزة مع معاصره السيد محمد باقر الداماد.

كان متنوع المواهب والملكات فهو فقيه مجيد وأديب بارع، وعالم في الرياضيات والهندسة والفلك.. نعرف التنوع الذي كان لديه من خلال تنوع تلامذته، وكتبه: فمنهم الملا صدرا الشيرازي، ومنهم المجلسي الأول، ومنهم الفيض الكاشاني المفسر والمحدث.

ومن خلال كتبه التي بلغت ١٢٣ كتابا: في الفقه (٢٩). والتفسير والأصول والرجال وعلوم العربية والرياضيات والفلك (٢٠ كتابا).

القواعد الأصولية والعربية لتفريع الأحكام الشرعية (١٠٠ قاعدة)، شرح الألفية والنقلية (انطلاقا من حديث للصلاة أربعة آلاف حد)، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد.. وغيرها.

والحكمة والفلسفة.

القرن العاشر قرن التوتر:

يظهر أن القرن العاشر كان قرن التوتر على المستوى الإسلامي العام، وذلك على أثر تصاعد الصراع والتنافس بين الصفويين القوة الناشئة الطامحة، وبين العثمانيين القوة المسيطرة على أكثر مناطق العالم الإسلامي.

وقد كان المذهب والدين من الأسلحة التي استخدمها الطرفان بشكل سيء، فقد أثير التاريخ المذهبي والطائفي ليخدم السياسيين، واستجلبت النزاعات السابقة لتبرر الصراعات الحالية..

ومع الأسف فإن الصراع السياسي على النفوذ الذي كان ناشبا في غرب البلاد الإسلامية، كان يوجد تداعيات سيئة في بقية المناطق. وتعد أيام السلطان سليم العثماني من جهة، وأيام الشاه اسماعيل الصفوي ذروة هذا التوتر..

من المواطن التي أثر فيها بشكل واضح ذلك التوتر، لبنان حيث تعرض الشيعة هناك إلى مجازر أيام أحمد الجزار.. (لا نريد أن نقول أن تلك المجازر كانت بتفاصيلها سياسة عثمانية أو صفوية، فقد يأتي أشخاص في هذه الفترات لهم توجهات وأمزجة خاصة، فيستفيدون من الجو العام العدائي لكي يقوموا بالانتقام أو القتل.. بينما لو جاء هؤلاء في غير هذه الفترات لم يستطيعوا ذلك).

فمثلا حصل في العراق من قتل وتدمير لآثار أهل السنة أيام سيطرة الشاه اسماعيل على بغداد^(١) كذلك حدث الأمر نفسه في صفوف

(١) العراق سياقات الوحدة والانقسام، بشير موسى نافع.

الشيعة في لبنان بعدما أصدر القاضي نوح الحنفي فتواه الجائرة بقتل الشيعة لكفرهم وأن من يشك في كفرهم فهو كافر^(١)!!

ويتحدث الباحثون عن جرائم ارتكبت بتبرير تلك الفتوى^(٢)،
تشتمل على القتل والأسر^(٣)!!

(١) ذكرها السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه الفصول المهمة في تأليف الأمة، ص ١٤٣/١٤٤ فقال: وجدناه (التكفير) في باب الردة والتعزير من الفتاوى الحامدية وتقيحها بإمضاء الشيخ نوح الحنفي لاشتهار هذين الكتابين ورجوع من بأيديهم منصب الفتوى في المملكة المحروسة إليهما. قال في جواب من سأله عن السبب في وجوب مقاتلة الشيعة وجواز قتلهم: أعلم أسعدك الله أن هؤلاء الكفرة والبغاة الفجرة جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والعناد، وأنواع الفسق والزندقة والاحداد، ومن توقف في كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم... إلى أن قال: فيجب قتل هؤلاء الأشرار الكفار تابوا أو لم يتوبوا، ثم حكم باسترقاق نسائهم وذرائعهم.

(٢) ذكر ذلك السيد حسن الصدر في كتابه تكملة أمل الآمل، ص ٤٣٧، في مواضع متعددة منها: في ترجمة الشيخ يونس العاملي حيث قال بأنه: من العلماء الاجلاء المرجوع إليهم في الرياسة الدينية، قتله الأمير حيدر سنة الف ومائة وثلاثين. وهذا الأمير حيدر هو والد الأمير ملحم صاحب وقعة أنصار الذي أسر من الشيعة ألف وأربعمائة بفتوى الشيخ نوح وذلك سنة ١١٤٧.

(٣) أباد الشيخ نوح الحامدي بفتواه ضد الشيعة من مؤمني حلب وحدها أربعين ألفاً أو يزيدون، وسبيت نساؤهم وهتكت أعراضهم ونهبت أموالهم وأخرج الباقون منهم من ديارهم إلى نبل والنفاولة وأم العمدة والدلبوز والفوعة وقراها، وهاجم الأمير ملحم بن الأمير حيدر بسبب تلك الفتوى جبل عامل في سنة ١١٤٧ هـ (يوم وقعة أنصار) فقتل وسلب ونهب كما فصله بعض زعماء العاملين وقضت حوادث الجزائر وفتنه التي بدأت في أواخر القرن الثاني عشر واستمرت إلى نيف ومئتين وألف على معظم آثار العاملين ومؤلفاتهم، و كانت مكتبة الشيخ علي خاتون الذي أسره الجزائر تحتوي على ما يقرب من خمسة آلاف كتاب مخطوط صارت كلها طعمة لأفران قرية عكا كما ذكره لي الحجة السيد حسن الصدر رحمته الله عن بعض المشايخ المعمرين من العاملين ممن وقف على بعض الآثار المتلوفة، كما أن بعض المكتبات دفنت تحت الدور التي هدمها الغزاة الظالمون هكذا سمعت من بعض العلماء المطلعين من آل محفوظ، وبهذه الجرائم قضى على الآثار العلمية ونسي ذكر كثير من العلماء والمؤلفين، الشيخ آقا بزرك الطهراني في مقدمة كتاب الصراط المستقيم: ج ٢، ص ١٤.

أواسط القرن الحادي عشر ودولة في طرابلس:

سيطر آل حمادة من الشيعة على إمارة طرابلس حوالي سنة (١٠٦٠) واستمر إلى قرنين من الزمان تقريبا..

وبقيت العلاقات بين الشيعة وبين العثمانيين في مد وجزر. فقد كان العثمانيون (يكرهون الشيعة بنوع من الرفض الغريزي المادي الذي كانوا يواجهون به أولئك الذين يعتبرونهم تهديدا للمجتمع وذلك لأنهم ربطوا في البداية بين الشيعة و(القرلباش) أي الصوفيين ذوي الرؤوس الحمراء، وهم من الغلاة الذين أوصلوا الصنفين إلى الحكم، بالإضافة إلى أنهم كانوا ممن يظن بهم وهم في قلب السلطنة التعاون لا بل العمالة للصنفين وهم جيران العثمانيين واعدائهم، ولذلك فإن الشيعة بالرغم من أنهم لم يكونوا مضطهدين باستمرار كانوا يشعرون بأنهم هدف لموقف عثماني كان يتراوح بين التسامح والاضطهاد ويتألم في أغلب الأحيان في الوقائع المحلية)^(١)، لكن المعدل العام لها كان هو العداة الأمر الذي حدا ببعض العوائل إلى إعلان تسننها ظاهرا^(٢).

الفرنسيون والشيعة في العصر الحديث:

مع ضعف الدولة العثمانية، وقيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤هـ) انتهت السيطرة العثمانية على لبنان، واحتلت فرنسا لبنان. مع مجيء الفرنسيين كان الشيعة يشكلون أكثرية سكانية بالنسبة للجميع^(٣) سواء

(١) صابرينا ميرفان: حركة الإصلاح الشيعي، ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٨.

(٣) راجع الموسوعة العربية العالمية: ج ٢١، ص ٧١.

كانوا مسيحيين، أو مسلمين سنة، غير أن الفرنسيين الذين حاولوا أن يغيروا من التركيبة السكانية من خلال استقدام الموارنة المسيحيين من سوريا ولم يفلحوا. في النتيجة قاموا بتقسيم الوظائف على أساس أن المسيحيين والمسلمين متناصفون (مع تغليب جانب المسيحيين ٧ إلى ٦)، وأن الشيعة نصف المسلمين، يعني بالنتيجة سيحصلون على ربع الامتيازات في المواقع الكبرى في الدولة.. وبالرغم من كون ذلك مجحفا تماما إلا أن ما حصل عليه الشيعة بشكل واقعي لا يرقى حتى إلى نسبة الربع تلك!! فقد ذكر بعض الباحثين أن الوظائف الأساسية في الأمن والجيش، والوزارات السيادية ليس فيها للشيعة نصيب مهم.

الشيعة والنهوض الجديد:

كان للكثير من علماء لبنان دور مهم في إنهاض أتباعهم من شيعة أهل البيت عليه السلام، غير أن الدور الأكبر يقترن بالسيد موسى الصدر^(١) الذي خلف السيد عبد الحسين شرف الدين وجاء إلى جنوب لبنان، منطقة صور، للقيام بشؤون الشيعة بطلب من أهلها.

وقد عمل على أكثر من مستوى: فقد ركز على التخصص والتعليم ولا سيما المهني منه في صفوف أبناء الطائفة مجيء السيد موسى الصدر إلى لبنان غير الوضع العام للشيعة. كما استطاع استرجاع الطاقات الشابة الشيعية التي كانت تبحث عن انتفاء في الأحزاب اليسارية والقومية عندما صنع إطارا دينيا شعبيا في البداية يتمثل في حركة المحرومين، ثم في إطار حركي تنظيمي باسم أفواج المقاومة اللبنانية تحول فيما بعد إلى

(١) أصول عائلة الصدر من شرف الدين، وهم لبنانيون وكان أحد أجداد السيد موسى ممن قتلهم أحمد الجزائر.

حركة مسلحة واجهت الإسرائيليين بشجاعة.

وفي إطار تنظيم وضع الطائفة الشيعية في لبنان والتي كانت أكثر الطوائف عدداً، وأقلها تنظيماً ومؤسسات توجّه لإنشاء (المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى) بغرض رفع الظلم والغبن الممارس تجاه الطائفة على أكثر من مستوى.. وبالرغم من معارضة كثيرين من خارج الطائفة بدعوى أن هذا يكرس الطائفية (مع العلم أنه تم تنظيم حال الطائفة السننية منذ عام ١٩٥٥، والطائفة الدرزية عام ١٩٦٢) بل أحيانا من داخل الطائفة.. لكنه مضى في مشروعه الذي أصبح واقعا ملموسا عام ١٩٦٧م^(١).

وقد عمل في غمرة اهتمامه بإنهاض الشيعة على تعزيز التفاهم المسيحي الإسلامي، والإسلامي الإسلامي من خلال خطوات كثيرة.. إلى أن تم تغييره واختطافه في أثناء سفره إلى ليبيا عام ١٩٧٨ وكان ذلك بعد نشوب الحرب الأهلية اللبنانية.

كان الدور الذي قام به السيد موسى الصدر يتمثل في إنهاض الشيعة كطائفة ذات دور مؤثر وتنظيم أمورها وقضاياها، والتهيئة لممارستها لذلك الدور في المستقبل..

وقد آتت أعماله تلك نتائجها الطيبة عندما برز إلى ميدان المقاومة حزب الله واستطاع ولأول مرة في تاريخ العرب والمسلمين أن يواجه الإسرائيليين في موقعتين مؤثرتين انتهتا إلى انتصاره عليهم، في سنة ٢٠٠٠م وفي سنة ٢٠٠٦م.

وهذين الانتصارين صار الشيعة في لبنان أصحاب الدور الأول

(١) للتفصيل عن أعماله يراجع صفحة انترنت: www.imam-moussa.com

بحيث لا يستطيع أحد تجاوز حجمهم وأهميتهم، وهم يسرون في الاتجاه الذي يحقق الإنصاف في أخذ حقوقهم، بالرغم من أنهم لا يتحركون في خط طائفي.. ولا نحتاج إلى الكتابة عنهم هنا فإنهم يكتبون على الأرض بأعمالهم الايجابية في المقاومة والبناء ما يكفي لقراءته.

تاريخ الشيعة في إيران

على العكس مما يبته مخالفو التشيع من أن منشأ التشيع فارسي، على أساس تأثرهم الفرس بمصاهرة الإمام الحسين لبنت ملكهم يزدجرد وكون الإمام زين العابدين علي بن الحسين ابنها.. أو كما قال بعضهم أن الفرس الذين هزموا أمام المسلمين، فكروا في طريقة أخرى للكيد للإسلام فكان أن قاموا بالانتماء إلى التشيع وتعضيده بل تأسيسه!.

على العكس من ذلك تشير الدراسات التاريخية المحققة إلى أن مراحل انتشار التشيع في إيران، وهي مراحل متدرجة بدأت بفئة محدودة، وتطورت وازداد عدد المتتمين إلى هذا المذهب على مدى عشرة قرون إلى أن أصبح المذهب الرسمي والشعبي في أوائل القرن العاشر الهجري.. وكان في كل مرحلة من هذه المراحل يبدو أثر العرب في نشر المذهب في إيران واضحاً، حتى ليتمكن القول أن التشيع هو هدية العرب إلى الإيرانيين!

يمكن تقسيم تاريخ الشيعة في إيران إلى خمس مراحل^(١):

- المرحلة الأولى: بدايات تشيع الموالي في العراق، تشيعاً سياسياً

بحسب التعبير.

(١) استفدنا هنا من الدراسة القيمة التي أعدها الباحث رسول جعفریان (الشيعة في إيران).

- الثانية: تشيع بعض المناطق مثل قم على أثر هجرة العرب إليها من أيام الأمويين بعد منتصف القرن الأول.

- الثالثة: مرحلة قيام الدولة البويهية في منتصف القرن الرابع.

- الرابعة: التزام بعض سلاطين المغول بالتشيع وإعلانه المذهب الرسمي في إيران في القرن الثامن.

- الخامسة: قيام الدولة الصفوية في منتصف القرن العاشر.

المرحلة الأولى: الموالي والتشيع السياسي:

تطلق كلمة المولى في اللغة والتراث العربي والإسلامي ويراد بها معان متعددة:

- فقد يراد منها معنى السيد والمالك والنصير مثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(١).

- وقد يراد منها معنى العبد، فيقال هو مولى فلان أي عبده، ولا سيما إذا أعتق، فيكون ولاؤه لسيدته.

- وقد يراد منها معنى المسلم غير العربي.. ولذلك فإنهم يذكرون في تعريفهم هذه الكلمة فيقال مولى بني أسد.. وإلى هذا المعنى أشار أبو الأسود الدؤلي في ما نقل عنه وقد سمع اللحن في كلام الموالي: «هؤلاء الموالي قدرغبوا في الإسلام فدخلوا فيه، فصاروا لنا إخوة، فلو علمناهم الكلام).. وهذا هو المعنى المراد من استعمالنا الكلمة في هذه السطور.

وفي البداية لا بد أن نشير إلى أن اعتزاز العرب بجنسهم ولغتهم

(١) سورة محمد: ١١.

كان كبيراً جداً، بحيث يرون أنفسهم أفضل من غيرهم بغض النظر عن أي مقايضة أخرى! ولهذا لم يستطع الكثير منهم أن يتقبل كونه مساوياً للأعجمي أو التركي أو الأسود لونا.. وكان التركيز على التفاخر بالأنساب من الميزات المتأصلة لدى العرب في تلك الفترات، بل وإلى زماننا في بعض المناطق!

وبالرغم من تأكيد القرآن على أنه لا محل للافتخار بالأنساب ما دام الأصل ينتهي إلى منبع واحد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١)، وقيام النبي ﷺ بتأكيد هذه الحقيقة قولاً وفعلاً، مثل خطبته في وسط أيام التشريق: «يا أيها الناس الا ان ربكم واحد وان أباكم واحد الا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاهمر على أسود ولا أسود على أحمر الا بالتقوى»^(٢) وتوجيهه إلى التزاوج بين العنصرين بل أمره في أحيان كثيرة بذلك، كتزويجه الذلفاء بنت زياد بن لبيد وهو من أشرف بني بياضة، لجويبر الذي كان من (فقراء السودان) كما ذكروا.. وتزويجه زينب بنت جحش الأسدية لزيد بن حارثة (مولاه). وتعليل النبي ذلك بأن الله أذهب نخوة الجاهلية وتفاخرها بالعشائر، وإنهم اليوم لا فضل لعربهم على عجميهم..

بالرغم من ذلك إلا أنه لم يحصل تغيير كلي في النفوس والثقافة، بل بقيت هذه الحالة بدرجة أو أخرى لدى العرب.. ولهذا فقد كان الموالي الذين دخلوا الإسلام على اثر الفتوحات، محلاً لتمييز مارسه بعض الحاكمين ضدهم، وسوء الظن في حقهم، فمُيز بينهم في العطاء

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل: ج ٥، ص ٤١١.

في عهد الخليفة الثاني بناء على اجتهاد منه!- فيما رفض الإمام علي هذا التمييز قائلاً: إن الله لم يجعل لبني اسماعيل فضلاً على بني اسحاق!

وتصاعد هذا الأمر أيام الأمويين حتى صار بمثابة القانون: فقد كان ممنوعاً أن يتزوج الموالي من العرب بينما يصح العكس -مع غضاضة ولوم كما صنع عبد الملك مع الإمام علي بن الحسين زين العابدين-^(١)! وعندما تزوج أحد الموالى امرأة من بني سليم ركب أحدهم إلى المدينة وشكى ذلك إلى أميرها ففرق بين المولى وبين زوجته وأمر بضربه مئتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبه.. كيف يجراً على ذلك؟ وكان عليهم أن يكونوا في الصفوف الأولى من الحرب! وليس لهم أن يؤموا الصلاة! بل ولا أن يقفوا في الصف الأول من الجماعة! وكانوا يرون أن الموالي إنما خلقوا لأعمال من مثل كسح الطرق وتنظيفها، وخياطة الثياب ورقع الأحذية! بل وقالوا: إن أبغض الكلام إلى الله الفارسية، وإنه إذا غضب الله أنزل الوحي بالفارسية وإذا رضي أنزله بالعربية! وهكذا..

هذه المواقف غير الصحيحة، جعلت الموالى يرون في الإمام علي تمثيلاً تاماً للإسلام، وهم يسمعون كلامه، ويرون معاملته الطيبة للموالى، وفي طليعتهم سلمان الفارسي. غير أن هذا كان أشبه بالانتماء

(١) أما بعد: فقد بلغني تزويج مولاتك، وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه من الولد فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت والسلام... فرد عليه الإمام: أما بعد: فقد بلغني كتابك تعنفي بتزويجي مولاتي، وتزعم أنه كان في نساء قريش من أمجد به في الصهر واستنجبه في الولد، وأنه ليس فوق رسول الله ﷺ مرتقى في مجد ولا مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجت مني بأمر إرادة الله عز وجل التمسست فيه ثوابه ثم ارتجعتها على سنته ومن كان زكياً في دينه فليس يخل به شيء من أمره، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسية، وأتم به النقيصة، واذهب اللوم فلا لوم على امرئ مسلم إنما اللوم لوم الجاهلية.. عن النظام السياسي في الإسلام، باقر شريف القرشي، ص: ٢٠٧.

السياسي والاجتماعي منه بالانتماء العقدي والالتزام الفقهي.

المرحلة الثانية: هجرة أشعرية:

يبدأ أول تعرف على التشيع في إيران بالمعنى العقدي، من خلال أحفاد أحد صحابة رسول الله ﷺ، وخلص أصحاب أمير المؤمنين وهو السائب بن مالك الأشعري ومن المهم أن نتبع شيئاً من حركة هذا الرجل حتى هجرة أحفاده إلى قم.

نلتقي به وقد قدم إلى الرسول ﷺ فأسلم على يده وكان له معه صحبة. حتى إذا قلبنا صفحات التاريخ وجدنا السائب الذي هاجر إلى الكوفة وسكنها يكون له في أيام أمير المؤمنين عليه السلام دور في نصيحة أبي موسى الأشعري الذي كان (وهو والد زوجته) واليا على الكوفة قبل اتخاذها عاصمة للإمام بأن يستجيب لرسالة الإمام في تعبئة أهل الكوفة لقتال أهل الجمل حيث كتب له: إني وجهت هاشم بن عتبة (المرقال) لينهض من قبلك من المسلمين إلي فأشخص الناس فاني لم أولك الذي أنت به إلا لتكون من أعواني على الحق! فدعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فقال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تتبع ما كتب به إليك! قال: لكني لا أرى ذلك! فكتب هاشم إلى علي: إني قد قدمت على رجل غال مشاق ظاهر الغل والشنآن وبعث بالكتاب مع المحل بن خليفة الطائي^(١).

وإذا كنا لا نعثر على اثر له في قضية الإمام الحسين في كربلاء، ولا نعلم عن سبب ذلك، فإننا نجد دوراً واضحاً جداً له في حركة المختار الثقفي، فقد كان يجمع له الأنصار، ويباع له الناس^(٢) والمختار لا يزال

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥١٢

(٢) ولما نزل المختار داره عند خروجه من السجن اختلف إليه الشيعة واجتمعت عليه

في سجن الأمويين، فعندما تحرك ابن مطيع العدوي وسيطر على الكوفة
مبعدا الأمويين لحساب عبد الله بن الزبير وخطب في الناس كان الشخص
الذي واجهه هو السائب؛ كما نقله الطبري: فقد صعد المنبر فحمد الله
وأثنى عليه وقال أما بعد فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على
مصركم وثوركم وأمرني بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم
إلا برضى منكم ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته وبسيرة
عثمان ابن عفان التي سار بها في المسلمين فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا
وخذوا على أيدي سفهائكم وإلا تفعلوا فلو موأنفسكم ولا تلوموني فوالله
لأوقعن بالسقيم العصي ولأقيمن درأ الأصر المرتاب!!.

فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال: أما أمر ابن الزبير
إياك أن لا تحمل فضل فيئنا عنا إلا برضانا فإننا نشهدك أنا لا نرضى أن
تحمل فضل فيئنا عنا وأن لا يقسم إلا فينا وأن لا يسار فينا إلا بسيرة علي
بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه ولا
حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا فإنها إنما كانت أثره وهوى
ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا وإن كانت أهون السيرتين علينا
ضرا وقد كان لا يألو الناس خيرا.

فقال يزيد بن أنس: صدق السائب بن مالك وبر رأينا مثل رأيه
وقولنا مثل قوله!.

واتفق رأيا على الرضا به وكان يبايع له الناس وهو في السجن خمسة نفر السائب
بن مالك الأشعري ويزيد بن أنس وأحمر بن شميطة ورفاعة بن شداد الفتياي وعبد
الله بن شداد الجشمي قال فلم تزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى ويشتد حتى عزل
ابن الزبير عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة وبعث عبد الله بن مطيع على
عملهما إلى الكوفة، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٨٨-٤٨٩.

فقال ابن مطيع: نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وهو يتموها^(١)!

وشارك في حركة المختار بفعالية، فإننا نراه أحد القادة العسكريين في مواجهة ابن الأشعث، وعندما خرج المختار خارج الكوفة جعله واليا عليها حتى عاد. وشارك مع المختار في كل تفاصيل المعركة في الكوفة إلى أن استشهد مع المختار..

لما انكسرت حركة المختار كان الأشعريون في مواجهة عدوين في وقت واحد، فإن الزبيريين الذين سيطروا على الكوفة لن يغفروا لآل السائب موقف أبيهم، وهكذا الأمويون فإنهم لما هزموا الزبيريين وولوا الحجاج بن يوسف الثقفي على الكوفة سنة ٧٥ هـ قام هذا بقتل محمد (ابن السائب بن مالك صاحب المختار الثقفي المقرب منه) ونادى أن برئت الذمة من آل السائب والأشعريين.

على أثر ذلك حدثت هجرة من قبل آل السائب بل عموم الأشعريين إلى قم، خصوصا بعدما جاءت نتائج ثورة عبد الرحمن بن الأشعث ضد الحجاج معكوسة، فهاجر -هربا منه-.. أبناء سعد بن مالك بن عامر الأشعري الأربعة إلى قم والتحق بهم قبائلهم وأقاربهم حتى غلبوا على قم، في حوالي سنة ٩٤ هـ.

وتكاثر عددهم في قم حتى أنه ذكر في تاريخ قم أن عدد الأشعريين بلغ قريبا من ستة آلاف في أواخر القرن الرابع، وفي نفس الوقت استمر تواصل الأشعريين العرب مع الأئمة عليهم السلام، بدءا بالإمام الصادق والإمام الرضا وأبنائه عليهم السلام، فقد ذكروا أن عدد الأشعريين

(١) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٨٩-٤٩٠.

من الرواة والعلماء والمحدثين (٣٩) يبلغ راويا ومحدثا وشيخا، من بينهم (١٦) يروون عن الائمة مباشرة^(١)، كما يروي عنهم كبار المحدثين كالكليني^(٢).

وبمقدار ما تكاثر عددهم وكانت لهم الريادة العلمية في قم، فقد تبع ذلك أيضا الزعامة الاجتماعية والسياسية، حيث كان بعضهم ممن (يلقى السلطان) أو أنه (وجه من وجوه الطائفة).

يمكن تبين الأثر العلمي الواضح والزعامة الاجتماعية البارزة للأشعريين من خلال ما ذكر في ترجمة بعضهم، مثل أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، فإننا سننقل النص بكامله ليس لغرض التعريف بشخصه وإنما لأنه من خلال استعراض المترجم لشخصيته يتبين سعة تأثير الأشعريين في قم. قال السيد الخراسان في تعليقه على تهذيب الأحكام: ج ١٠، شرح: ص ٤٢-٤٤:

هو أحمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص بن السائب بن مالك بن عامر الأشعري من بني ذخران بن عوف بن الجماهر بن الأشعريكنى أبا جعفر، من أهل قم وكان السائب بن مالك وفد إلى النبي ﷺ وأسلم وهاجر إلى الكوفة وأقام بها، وأول من سكن قم من آباءه سعد بن مالك بن الأحوص وذلك بعد الفتح الإسلامي، وهو من بيت جلهم من الاعلام وشيوخ الحديث فأبوه محمد وجده عيسى وعمران عمه وكذا إدريس بن عبد الله وأولاد أعمامه زكريا بن آدم وزكريا بن إدريس وغيرهم من أجلة رواة الحديث

(١) جعفریان: رسول في (تاریخ تشیع در ایران) ١٨٢

(٢) كأبي علي الأشعري شيخ الكليني الذي ورد اسمه في ٩٢٩ رواية (كما عن السيد الخوئي في المعجم).

ولهم الذكر الجميل في معاجم الرجال . قال عنه النجاشي في رجاله ص ٦٠ : « وأبو جعفر رحمه الله شيخ القميين ووجههم وفتيهم غير مدافع ، وكان أيضا الرئيس الذي يلقي السلطان . ولقي الرضا عليه السلام ... ولقي أبا جعفر الثاني عليه السلام وأبا الحسن العسكري عليه السلام . وقال الشيخ الطوسي في الفهرست ص ٤٩ » وأبو جعفر شيخ قم ووجهها وفتيها غير مدافع ، وكان أيضا الرئيس الذي يلقي السلطان بها ولقي أبا الحسن الرضا عليه السلام . وقال عنه في الرجال ص ٣٦٦ في باب الجواد والهادي عليهما السلام أيضا . وقال ابن حجر في لسان الميزان ص ٢٦٠ . « العلامة أبو جعفر الأشعري القمي شيخ الرافضة بقم له تصانيف وشهرة كان في حدود الثلاثمائة » وذكره ابن النديم وابن شهر آشوب وإسماعيل باشا وغيرهم ، وذكر كل واحد جملة من كتبه . وقال الشيخ الصدوق في أول كتابه كمال الدين ص ٣ ما هذا لفظه ، وكان أحمد بن محمد بن عيسى في فضله وجلالته يروى عن أبي طالب عبد الله بن الصلت . . ولا أدل على مكانته في قم ونفوذ كلمته من ابعاده أحمد بن محمد بن خالد البرقي عن قم لما شاع عن البرقي من أنه يعتمد المراسيل ويكثر الرواية عن الضعفاء فطعن عليه القميون حتى ابعده أحمد بن محمد بن عيسى غير أنه فيما بعد مشى في جنازته حافيا حاسرا ليبرئ نفسه عما قذفه به . له كتب عديدة ذكر ابن النديم منها : كتاب الطب الكبير وكتاب الطب الصغير وكتاب المكاسب ، وذكر الشيخ في الفهرست والنجاشي في رجاله منها كتاب التوحيد وكتاب فضل النبي ﷺ وكتاب المتعة وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب الفوائد وكان غير مبوب فبوبه داود بن كورة . وزاد النجاشي له كتاب الأظلة كتاب المنسوخ كتاب فضائل العرب ، قال ابن نوح : ورأيت له عند الديلمي كتابا في الحج (انتهى).

ويشير إلى حجم الوجود الشيعي ما نقله المؤرخون من أن المأمون عندما أشخص الإمام علي بن موسى الرضا من المدينة إلى خراسان، أمر قائد القافلة الرجاء بن الضحاك أن لا يمر على طريق الكوفة وقم، وإنما يأخذ طريق البصرة فالأهواز ففارس فخراسان. وعندما توعدت السيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر في طريقها إلى خراسان وكانت في ساوة اختارت النزول في قم في دار موسى بن خزرج الأشعري، مع بعدها بعشرة فراسخ!.

تحولت قم إذن إلى منطقة شيعية خالصة، وإلى مركز علمي متميز، ثم إلى ملاذ آمن لكل من أراد النجاة من بطش العباسيين، فأثرت على المناطق المجاورة بالتدريج، فصارت (آوة، وكاشان، وفيها بعد الري من المناطق الشيعية). وهذا يعد من التطور الطبيعي، في تأثر المجتمعات، أي لم يكن هناك حركة سياسية أو حالة عسكرية تحمي هذا الوجود، وإنما هو تأثر اجتماعي، وحرآك فكري خالص.

المرحلة الثالثة: مجي البويهيين: ٣٢٠-٤٤٧هـ

الوالد أبو شجاع بويه، كان صياد سمك، ربي أبناءه الثلاثة (علي والحسن، وأحمد) تربية حازمة، ولذا فعندما دخلوا في خدمة الدولة الزيارية (مرداويج) واستقلوا بمنطقة صغيرة، أداروها إدارة جيدة ثم بدؤوا يتوسعون فسيطروا على اصفهان وكرمان وأخيرا دخلوا إلى بغداد وأبقوا الخليفة العباسي لكنهم كانوا الحكام الفعليين.. وكان شيعية إمامية خلافا لإدعاء كونهم زيدية، وكان لوجودهم على رأس السلطة دور مهم في أن ينطلق علماء الشيعة بحرية في نشر علوم المذهب، فكان الشيخ المفيد في بغداد، والسيد المرتضى، وقبلهما والصدوق وابنه

في قم والري، وأشاعوا أمور المذهب وأظهروا شعائره مثل الغدير وعاشوراء والأذان..

وفي هذه الفترة توسع التشيع في كثير من بلاد إيران، ولكنه لم يعلن مذهبا رسميا من قبل الدولة البويهية، ربما يكون ذلك من أجل حالة من الانفتاح كانت لديهم على بقية المذاهب التي بقيت تمارس نشاطها المعتاد من غير تضيق في أكثر الأحوال.. إلى أن سقطت دولتهم على يد السلاجقة.

المرحلة الرابعة: بدايات القرن الثامن، الشيعة في زمان المغول:

أسقط المغول الخلافة العباسية، وسيطروا على العراق وغيرها من البلاد المسلمة.. وبعد أن زاح دخان المعارك، تأثر كثير منهم بالفكر الإسلامي والعقائد الدينية العامة، غير أن قضية المذاهب كانت قضية ساخنة، فبالرغم من أن بلاد المسلمين كانت قد تعرضت إلى تلك المشاكل إلا أن الصراعات المذهبية كانت على أشدها.. وكان كل فريق يريد أن يستقطب شخصيات المغول لمذهبه ويعددهم عن المذهب الآخر لكي يستقوي المذهب بانتهاهم إليه..

يقال: إن بعض السلاطين المغول مثل غازان خان اتخذ موقفا متوسطا بين المذاهب فكان يتعاطف مع الجميع، ويسمح للجميع بممارسة نشاطه.. وإن كان يميل إلى التشيع..

إلا إن اختيار السلطان أولجايتو محمد خدابنده التشيع صراحة وإعلانه إياه على انه المذهب الرسمي، وتغيير الخطبة لكي تصطبغ بصبغة شيعية، والتظاهر بالشعائر الشيعية، شكل دفعة قوية لانتشار المذهب.

فإنهم يذكرون في تشيعه عدة حوادث:

منها أنه مل من النزاع الحاصل بين الشافعية والاحناف فكل منهم يشوه له مذهب الآخر، فاقترح عليه سيد تاج الدين الأوجي أن ينظر في التشيع^(١).

ومنها: أنه غاضب زوجته فطلقها ثلاثا في مجلس واحد، وكان يفتش عن مخرج لا ينتهي إلى أن تنكح زوجها غيره^(٢).

(١) ذكر ذلك الشيخ فارس الحسون في مقدمته لكتاب إرشاد الأذهان للعلامة الحلبي، فبعد أن بين جانبا من الحيرة التي حصلت لأمرء المغول على اثر الاختلاف الحاصل بين الشافعية والاحناف قال: ... فلما رأى الأمير طرمطار تحيره في أمره قال له: إن السلطان غازان خان كان أعقل الناس وأكملهم فمال إلى مذهب التشيع ولا بد أن يختاره السلطان، فقال: ما مذهب الشيعة؟ قال الأمير طرمطار: المذهب المشهور بالرفض، فصاح عليه السلام: يا شقي تريد أن تجعلني رافضيا! فأقبل الأمير يزين مذهب الشيعة ويذكر محاسنه له، فمال السلطان إلى التشيع. وفي هذه الأيام ورد على السلطان السيد تاج الدين الأوي الإمامي مع جماعة من الشيعة، فشرعوا في المناظرات مع القاضي نظام الدين في محضر السلطان في مجالس كثيرة، وكانت مناظرتهم بمثابة المقدمة للمناظرة الكبيرة التي وقعت بعد هذا بين علماء السنة والعلامة الحلبي بمحضر السلطان. وبعد مناظرة السيد الأوي عزم السلطان السفر إلى بغداد ثم الذهاب إلى زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وعند القبر رأى مناما يدل على حقيقة مذهب الإمامية، فعرض السلطان ما رآه في المنام على الأمراء، فحرضه من كان منهم في مذهب الشيعة على اعتناق هذا المذهب الحق، فصدر الأمر بإحضار أئمة الشيعة، فطلبوا جمال الدين العلامة وولده فخر المحققين، وكان مع العلامة من تأليفاته كتاب نهج الحق وكتاب منهاج الكرامة، فأهداهما إلى السلطان، وصار موردا للألطف والمراحم. فأمر السلطان قاضي القضاة نظام الدين عبد الملك - وهو أفضل علماء العامة، أن يناظر آية الله العلامة، وهيا مجلسا عظيما مشحونا بالعلماء والفضلاء من العامة، منهم المولى قطب الدين الشيرازي وعمر الكاتب القزويني وأحمد بن محمد الكيشي والمتسيد ركن الدين الموصلبي. فناظرهم العلامة وأثبت عليهم بالبراهين العقلية والحجج النقلية بطلان مذاهبهم العامة وحقيقة مذهب الإمامية.

(٢) ذكره السيد الأمين في الأعيان: ج ٥، ص ٣٩٦: ناقلا إياه عن الشيخ محمد تقي المجلسي فقال: ذكر النقي المجلسي في شرح الفقه ان السلطان الجايو محمد المغولي الملقب بشاه خربندا غضب على احدى زوجاته فقال لها أنت طالق ثلاثا ثم ندم

فكان أن استقدم العلامة الحلي، الذي ناظر علماء بقية المذاهب وفاقهم، فأعلن السلطان تشييعه على أثر ذلك.

وبعد عصر السلطان خدابنده، جاءت الدولة السربدارية في خراسان، وهي دولة شيعية استمرت قرابة نصف قرن من الزمان (٧٣٨ هـ، ٧٨٣ هـ)، وقد أظهرت شعارات التشيع وسعت في نشره ولا سيما أيام حاكمها (علي بن مؤيد) والذي أرسل إلى الشيخ شمس الدين محمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول، أن يتفضل عليهم بالمجيء إلى خراسان، فإنهم يخافون « غضب الله على هذه البلاد، لفقدان

فسال العلماء فقالوا لا بد من المحلل فقال لكم في كل مسألة أقوال فهل يوجد هنا اختلاف؟ فقالوا لا، فقال أحد وزرائه: في الحلة عالم يفتي ببطلان هذا الطلاق، فقال العلماء ان مذهبه باطل ولا عقل له ولا لأصحابه ولا يليق بالملك ان يبعث إلى مثله، فقال الملك أمهلوا حتى يحضر ونرى كلامه فبعث فاحضر العلامة الحلي فلما حضر جمع له الملك جميع علماء المذاهب فلما دخل على الملك اخذ نعله بيده ودخل وسلم وجلس إلى جانب الملك فقالوا للملك ألم نقل لك انهم ضعفاء العقول فقال اسأله عن كل ما فعل فقالوا لماذا لم تخضع للملك بهيئة الركوع فقال لان رسول الله ﷺ لم يكن يركع له أحد وكان يسلم عليه وقال الله تعالى (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة) ولا يجوز الركوع والسجود لغير الله قالوا فلم جلست بجانب الملك قال لأنه لم يكن مكان خال غيره قالوا فلم اخذت نعليك بيدك وهو مناف للأدب قال خفت ان يسرقه بعض اهل المذاهب كما سرقوا نعل رسول الله ﷺ، فقالوا ان اهل المذاهب لم يكونوا في عهد رسول الله ﷺ بل ولدوا بعد المائة فما فوق من وفاته. كل هذا والترجمان يترجم للملك كلما يقوله العلامة، فقال للملك: قد سمعت اعترافهم هذا فمن أين حصروا الاجتهاد فيهم ولم يجوزوا الاخذ من غيرهم ولو فرض انه اعلم؟! فقال الملك ألم يكن أحد من أصحاب المذاهب في زمن النبي ﷺ ولا الصحابة قالوا لا، قال العلامة: ونحن نأخذ مذهبنا عن علي بن أبي طالب نفس رسول الله ﷺ وأخيه وابن عمه ووصيه وعن أولاده من بعده. فسأله عن الطلاق، فقال باطل لعدم وجود الشهود العدول. وجرى البحث بينه وبين العلماء حتى ألزمهم جميعا فتشيع الملك وخطب بأسماء الأئمة الاثني عشر في جميع بلاده وامر فضربت السكة بأسمائهم وامر بكتابتها على المساجد والمشاهد.

الرشد، وعدم الإرشاد والمأمول من إنعامه العام، وإكرامه التام أن يتفضل علينا، ويتوجه إلينا متوكلا على الله القدير»^(١) كما جاء في رسالة حاكم خراسان علي بن مؤيد.

وحيث لم يستطع الشيخ محمد بن مكّي من الذهاب إلى خراسان ليكون مرشد تلك البلاد، نظرا لوضعه الخاص في دمشق، وحاجة الوضع العام إليه، فقد استعاض عن ذلك بكتابة دورة مختصرة في الفقه سميت بـ (اللمعة الدمشقية) وإرسالها إليهم.

المرحلة الخامسة: الدولة الصفوية بدايات القرن العاشر إلى منتصف القرن الثاني عشر (٩٠٦ - ١١٤٨هـ):

صفي الدين كان من الصوفية السنة فتشيع أبناءه، وبدؤوا في السيطرة على تبريز ثم بالتدريج سيطر الشاه اسماعيل وهو أهم الحكام الصفويين على كل إيران، ثم تطلعوا إلى السيطرة على العراق، ودخلوا في صراع عنيف مع العثمانيين، وقد اتخذ هذا الصراع صوراً طائفية من الطرفين..

بطبيعة الحال كانت البلاد تحتاج مع إعلانها شيعية إلى ثقافة دينية فاستعان الشاه اسماعيل ومن بعده بعلماء جبل عامل، فاستقدموا الشيخ علي عبد العال الكركي، ووالد الشيخ البهائي حسين بن عبد الصمد الحارثي، والبهائي نفسه، وغيرهم ممن ذكرهم مؤلف كتاب الهجرة العاملة إلى بلاد فارس.

واستمرت هذه المرحلة، وهي التي صار فيها التشيع المذهب الرسمي للدولة، والمذهب العام للشعب، وتعاملت الحكومات

(١) مقدمة كتاب الدروس الشرعية للشهيد الأول: ج ١، ص ٦٢.

التي تعاقبت على إيران على هذا الأساس، كالزنديين والقاجاريين والبهلويين، وأخيرا الثورة الإسلامية بقيادة الإمام روح الله الخميني، والتي أسقطت بواسطتها حكم الشاه محمد رضا بهلوي وأقام الجمهورية سنة ١٩٧٩م، وهي المرحلة التي نعيشها، ولا شك أنه كان لها دور عظيم في انتشار التشيع كفكرة متفاعلة ومقاومة في العالم الإسلامي ككل، فضلا عن تأثير المجتمع الإيراني بها.

لقد كتب الكثير عن هذه الثورة التي غيرت جملة من المعادلات السياسية، وجعلت إيران في مقدمة المسيرة في العالم الإسلامي، حيث امتد تأثيرها ونمط تفكيرها إلى أنحاء كثيرة في هذا العالم. ولم يقتصر هذا التأثير على شيعة العالم حيث تحولت بالتدريج إلى مركز روحي متميز لهم، بل تعداه إلى جمهور عريض من أهل السنة أيضا وجدوا في هذه التجربة تجديدا لحياة الإسلام.

استنتاجات:

نستنتج مما سبق عدة أمور:

الأول: أن تأسس التشيع لأهل البيت بالمعنى العقدي والفكري ثم نشره وتبليغه كان بواسطة العرب المسلمين في جميع المراحل نستثني منها المرحلة البويهية فإن دور الأشعريين في نقل التشيع معهم من الكوفة على أثر هجرتهم منها إلى قيم في الربع الأخير من القرن الأول الهجري واضح، وكذلك دور العلماء العرب في القرن الثامن الهجري وفي طليعتهم العلامة الحلي الذي صنع التحول لدى السلطان المغولي، واستقدم فيما بعد عددا مهما من العلماء من طلبته للقيام بمهمات تبليغ المذهب. وهكذا الحال بالنسبة للمرحلة الصفوية في بدايات القرن

العاشر الهجري فإن استقدام الشاه اسماعيل الصفوي للعلماء من جبل عامل والعراق والبحرين حتى وصل بعضهم إلى المواقع الأساسية في الدولة الصفوية، مما لا ينكر.

وهذا يبين أن ما يثيره البعض من الغبار في وجه طالبي الحقيقة من أن التشيع فارسي المنشأ والتأسيس، هو أمر لا يستند إلى أي معرفة تاريخية.. مع أننا لا نعتقد بميزة لشعب على شعب لجهة اللغة أو العنصر، فلا يضر التشيع أو التسنن أن يكون ناشئا من فارس أو تركيا أو الهند أو العراق، ولا ينفع أيا من المذهبين ذلك..

فإن المقياس في باب العقائد والأفكار هو صحتها في نفسها، ومطابقتها للأدلة النقلية من كتاب وسنة، والأدلة العقلية..

الثاني: أن وصف الشيعة أو حتى الإيرانيين منهم بالصفويين ينطوي على جهل بالموضوع التاريخي، فليست الصفوية عقيدة، ولا جريمة، وإنما هي أسرة أحسن فيها بعض أفرادها وأساء آخرون..

إن ذلك يشبه أنك تريد أن (تشتتم) إنسانا تركيا فتناديه بـ (يا عثمان)!.

الصفويون أحسنوا أو أساءوا جاؤوا في خاتمة المطاف، بعدما تهيأت الظروف وتكاملت في قبول الإيرانيين التشيع، بحيث لو جاء غيرهم لما توقفت الحركة تجاه التشيع من قبل الإيرانيين، والشاهد على ذلك أن القاجاريين لم يكونوا يحملون خلفية مذهبية مؤيدة للتشيع بهذا المعنى، ولكنهم لم يستطيعوا أن يوقفوا هذه الحركة.

نعم كان الصفويون أذكاء في اكتشاف حقيقة ارتباط المجتمع

الايرواني بالتشيع؁ فكانوا سباقين في إظهار علاقتهم به وحمائتهم له؁ وكان أن استفادوا من ذلك التفاف المجتمع الايرواني حول حكمهم.

— |

| —

— |

| —

تاريخ الشيعة في القطيف والأحساء

المنطقة الواقعة على ساحل الخليج والتي كانت تُعرف أحيانا بالخط، أو البحرين أو القطيف، كانت موطن ربيعة (عبد القيس وبكر بن وائل) ولكونها منطقة ذات خيرات زراعية كثيرة، وذات موقع ممتاز فقد سيطر عليها الفرس باعتبارهم الدولة الأقوى القريبة من المنطقة، وولوا عليها واحدا من أبنائها كعامل ووال. وهو المنذر بن ساوي العبدي..

ولما بُعث رسول الله ﷺ رحمة للعالمين، وأسس في المدينة دولة العدل النبوي، بدأ بمراسلة من حول المدينة لدعوتهم إلى الإسلام، خصوصا بعد أن استقر له الأمر، وتغلب على قريش وعلى بقية أعدائه في عدد من الحروب والغزوات، بحيث يئس الذين كفروا من القضاء على الدعوة، واضطروا إلى التوقف مليا عن القتال. هنا استفاد النبي ﷺ من الفرصة فبدأ يعرض الإسلام على القبائل والمجمعات، بعدما كان يعرضه على الأفراد في مكة. فبعث رسول الله ﷺ في السنة السادسة للهجرة، العلاء بن الحضرمي برسالة إلى المنذر بن ساوي، جاء فيها:

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي أما بعد، فإن من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذاك هو المسلم. له ما لنا، وعليه ما علينا، له ذمة الله ورسوله،

من أحب ذلك من المجوس فهو آمن، ومن أبى فعلية الجزية». فذهب العلاء إلى عبد القيس وهم أسلاف أهل هذه المنطقة وسكانها ودفعها إلى المنذر العبدي.

لم ينتظر المنذر كثيرا بعد أن قرأ رسالة النبي، وبعد أن أخبره العلاء بالمعالم العامة للدين بل أسلم وجمع قومه، ودعاهم للإسلام فدخلوا في دين الله أفواجا. ورجع العلاء بن الحضرمي لرسول الله يخبره بسرعة قبول المنطقة للدين، حاملا معه رسالة من المنذر إلى النبي بما نصه: «أما بعد، يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل هَجْر، فمنهم من أحب الإسلام ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس، ويهود، فأحدث لي، يا رسول الله، في ذلك أمرٌ».

فأجابه الرسول ﷺ بكتاب فيه: «من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأنه من ينصح فلنفسه، ومن يطع رسلي فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وأن رسلي قد أثنوا عليك خيرا، وأني شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، ومن أقام على مجوسيته فعلية الجزية»^(١).

وهنا أرسل النبي أبان بن سعيد بن العاص^(٢).

(١) لمعرفة تفاصيل الكتب المتبادلة بين النبي ﷺ وبين المنذر يراجع كتاب (مكاتيب الرسول للأحمدي الميانجي).

(٢) أبان بن سعيد بن العاص بن أمية، وإخوته خالد، وعتبة، مصداق لقول الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَاتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ (سورة الروم، آية: ١٩)، فإن أباهم سعيد بن العاص قد قتله أمير المؤمنين علي عليه السلام ببدر، لكن أبناءه كانوا من أولياء أمير المؤمنين عليه السلام ولم يبايعوا بعد وفاة رسول الله حتى بايع بنو هاشم وأمير المؤمنين. (يراجع معجم رجال الحديث للإمام الخوئي: ج ١، ص ١٤١).

وهنا اختلف المؤرخون فبعضهم يقول: إن العلاء^(١)، بقي واليا على قسم من المنطقة وأبان على الآخر، وبعض يقول أن أبان كان بديلا للعلاء..

في السنة التالية جاءت الوفود لرسول الله ومنهم وفد عبد القيس يرأسهم المنذر بن ساوي، والجارود العبدي الذي نعته الإمام علي عليه السلام بالصلاح^(٢).. وسألهم النبي ﷺ ممن القوم فقالوا من ربيعة، فقال: مرحبا بقوم غير خزايا ولا نادمين.

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: كان لعبد القيس وفادتان للنبي ﷺ وأنه قال لأصحابه: سيطلع عليكم ركب من هنا هم خير أهل المشرق فكان أن طلع عليهم وفد عبد القيس. والثانية كانت في عام الوفود^(٣).

ونقل النميري في تاريخ المدينة ما يفيد أن النبي ﷺ قد حفظ لعبد القيس هذا الإقبال الطوعي على الإيمان بالرسالة، فكان أن شبههم بالأنصار في المدينة، وقال لهم: يا معشر الأنصار أكرموا إخوانكم فإنهم أشباهكم في الإسلام أشبه شيء بكم شعاراً وأبشاراً، أسلموا طائعين

(١) يستفاد من بعض القرائن كون العلاء الحضرمي أو (ابن الحضرمي) من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وأما ابنه عبد الرحمن فقد ورد ذكر اسمه في أسانيد كثير من روايات مناقب الإمام علي عليه السلام، كما في الأماي للشيخ الصدوق ص ٥٧٤: بسنده إلى رسول الله أنه كان جالساً ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس علي فأحب من أحبهم، وأبغض من أبغضهم، ووال من والاهم، وعاد من عاداهم، وأعن من أعانهم، واجعلهم مطهرين من كل رجس، معصومين من كل ذنب، وأيدهم بروح القدس.

(٢) في رسالة منه إلى ولده المنذر: فإن صلاح أهلك غرني منك وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله، نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام ج ٣، ص ١٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ج ١، ص ١٢١.

غير مكرهين ولا موتورين إذ أبى قوم أن يسلموا حتى قُتلوا.

وبعض المؤرخين يذكر هنا في سبب تسمية جوثا.. المسجد المعروف الموجود في الأحساء والذي أقيمت فيه أول جمعة بعد المدينة، أن النبي ﷺ لما أرسل رسوله إلى عبد القيس أمره بأن يتخذ مكان جثو الناقة مسجدا^(١)، فكان هذا الموضع، وقد صليت الجمعة في المدينة ثم في الأحساء في هذا المسجد.

هناك روايات تقول أن أبا هريرة أيضا كان مع العلاء مؤذنا له، وأنه بقي هناك إلى أن توفي الرسول فلم يرجع إلى المدينة، ومن هذا يقول هؤلاء المؤرخون أن فترة وجود أبي هريرة مع النبي لم تتجاوز السنة وتسعة أشهر حيث أسلم في أواخر صفر سنة ٧ هجرية وذهب مع العلاء في ذي القعدة سنة ٨ هجرية..

وقد تحدث بعض المؤرخين عن ما قيل من ردة أهل البحرين، وقيام عبد القيس بمقاتلتهم إلى أن ردوهم بقيادة العلاء الحضرمي.. (ونحن نقول هذا مع تأملنا في حدود موضوع الردة والدعوة إلى النظر التاريخي التحقيقي في أحداثها..). وتقاتل العلاء ومن معه من عبد القيس بعد أن عبر من القطيف إلى تاروت ومنها إلى دارين، واصطدموا بالحطم بن ضبيعة قائد الجيوش المخالفة فهزموهم.. وكذلك الحال في الأحساء في منطقة جوثا..

بقي الوضع هكذا إلى سنة ٢٠ هجرية، حيث توفي العلاء فولى الخليفة الثاني قدامة بن مظعون^(٢) على الجباية، وأبا هريرة على الأحداث

(١) وقيل أن سبب التسمية راجع إلى أنه كان لعبد القيس حصن بهذا الاسم فسمي المسجد باسم جوثا.

(٢) السنن الكبرى، البيهقي: ج ٨، ص ٣١٥: أن عمر رضي الله عنه استعمل قدامة بن مظعون على البحرين وهو خال حفصة و عبد الله بن عمر فقدم الجارود سيد عبد

فعزل الأول وحدّه بعد أن ثبت عليه شرب الخمر^(١) وضرب الثاني بالدرّة حتى أدمى ظهره، وصادر منه مبلغا كبيرا من المال، قيل إنه عشرة آلاف^(٢)، وقيل غيره.

نصرة عبد القيس لأمير المؤمنين عليه السلام:

وفي زمان أمير المؤمنين عليه السلام كان الوالي عليها عمر بن أبي سلمة المعروف بولائه لأمير المؤمنين. إلى أن استدعاه الإمام لقتال أهل صفين وكتب له في ذلك رسالة جاء فيها « فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام وأحببت أن تشهد معي فإنك ممن أستظهر به على جهاد العدو وإقامة أمر الدين إن شاء الله... »^(٣).

ومن الطبيعي أن يكون عمر بن عبد الأسد (ابن أبي سلمة) قد

القيس على عمر فقال يا أمير المؤمنين إن قدامة شرب فسكر وأني رأيت حدا من حدود الله حقا على أن أرفعه إليك فقال عمر: من شهد معك؟ قال: أبو هريرة! فدعا أبا هريرة فقال: بم تشهد؟ فقال: لم أره شرب ولكني رأيته سكران يقئ! فقال عمر: لقد تنطعت في الشهادة! قال ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين فقدم فقام إليه الجارود فقال: أقم على هذا كتاب الله! فقال عمر: أخصم أنت أم شهيد؟ قال: بل شهيد! قال: فقد أديت الشهادة! فصمت الجارود حتى غدا على عمر فقال: أقم على هذا حد الله فقال عمر: ما أراك إلا خصما وما شهد معك إلا رجل! فقال الجارود: إني أنشدك الله! فقال عمر: لتمسكن لسانك أو لأسوءنك! فقال أبو هريرة: إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فاسألها وهي امرأة قدامة. فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد بنشدها فأقامت الشهادة على زوجها فقال عمر لقدامة: إني حادك! فقال: لو شربت كما يقولون ما كان لكم تجلدوني! فقال عمر لم؟ قال قدامة: قال الله عز وجل ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾ الآية قال عمر عنه أخطأت التأويل إن اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله عليك..

(١) وفي هذا وأمثاله غير قليل ما يشير لبطان نظرية عدالة جميع الصحابة وأنهم فوق مستوى الوثاقة، خصوصا أنه لم يحتج قدامة في درء الحد عنه بذلك.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، الشيخ محمود أبو رية.

(٣) نهج البلاغة رقم ٤٢.

ناصح إمامه في تبليغ رسالته وبيان ما ينبغي على أهل المنطقة فعله من ولاء أمير المؤمنين، كيف لا وأمه أم سلمة زوجة رسول الله ﷺ، التي كان موقفها في غاية الانسجام مع أمير المؤمنين ﷺ كما يظهر من تتبع أخبارها^(١).

ناصر العبديون أمير المؤمنين ﷺ في مواقفه المختلفة، وبرز منهم الكثير من أنصاره^(٢)، فمنهم: أبو أمية بن الأصم فارس عبد القيس، وهو القائل في حرب الجمل:

معاشر عبد القيس موتوا على التي تسرُّ عليًّا، واحذروا سبَّ الغدر
ولا ترهبوا، في الله، لومة لائم وموتوا كرامًا فهو أشرف للذكر

وأما في صفين فقد كانت ربيعة (ومنهم عبد القيس في طليعة مقاتلي أمير المؤمنين والصامدين معه) وكانت عبد القيس من أبرز قبائل ربيعة في جيشه، وقد كان ابن الأشج على أهل هجر في جيش علي في حرب الجمل، أما في صفين فقد قال الإمام علي لرؤساء ربيعة: (أنتم درعي ورمحي، أنتم أنصاري ومجيبو دعوتي ومن أوثق حي في العرب في نفسي)، وفي صفين أيضاً كان حامل راية ربيعة هو الحضين بن منذر (ابو ساسان) فقال فيها الإمام علي ﷺ:

لنا الراية الحمراء يخفق ظلها إذا قيل قدمها الحضين تقدما

(١) يراجع كتاب (نساء حول أهل البيت: ج ١) للمؤلف.

(٢) وصل الأمر إلى درجة أنه إذا خالف أحدهم ولاء أمير المؤمنين علي ﷺ كان يشار إليه ويعرف كما تتبين النقطة السوداء في القطيفة البيضاء، مثلما ذكر ابن الأثير في الكامل أن (صحرار بن عباس (أو عياش) العبدي كان مخالفا لقومه على حب علي) وكذلك قال ابن دريد في الاشتقاق. وقال الثقيفي في الغارات: عند الحديث عنه: وكان عثمانيا وكانت عبد القيس تشيع فخالفها!.

ويدنو بها في الصف حتى يزيها حمام المنيا تقطر الموت والدماء
إلى أن قال:

جزى الله قوماً قاتلوا في لقاءهم لدى البأس خيراً ما أعف وأكرما
ربيعة أعني إنهم أهل نجدة وبأس إذا لاقوا خميساً عرمرما
ومنهم: جويرية بن مسهر العبدي من ثقات أمير المؤمنين وصُلب
أيام معاوية على الولاية.

ومنهم: صعصعة بن صوحان الذي قال فيه الإمام علي: إني ما
علمتك إلا خفيف المؤونة كثير المعونة، وقال فيه الإمام جعفر الصادق
عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما كان يعرف حق أمير المؤمنين إلا صعصعة وأصحابه)،
وإخوانه: سيحان بن صوحان، وزيد بن صوحان ومنهم حكيم بن
جبلة العبدي^(١)، والمثنى بن مخربة العبدي رئيس ثوار البصرة على
عثمان، وذريح بن عباد العبدي^(٢)، ورشيد الهجري^(٣)، وعمرو بن

(١) قتل أصحاب الجمل في أول أمرهم - لما احتلوا البصرة - ثلاثمائة من رجال عبد
القيس من أصحاب حكيم بن جبلة.. وقيل إنهم آمنوهم أول الأمر ثم قتلوهم!!
وأبن أمير المؤمنين حكيماً وأصحابه بقوله: إنه أتاني خبر متفطع ونباً جليل: أن طلحة
والزبير وردا البصرة فوثبا على عاملي فضرباه ضربا مبرحا وترك لا يدرى أحي هو
أم ميت، وقتلا العبد الصالح حكيم بن جبلة في عدة من رجال المسلمين الصالحين
لقوا الله موفين ببيعتهما ماضين على حقهم، وقتلا السبابجة خزان بيت المال الذي
للمسلمين، قتلوهم صبورا، وقتلوا عذرا..

(٢) ذريح (على وزن أمير) كان فيمن قتله أصحاب الجمل في البصرة.

(٣) استشهد على يد عبيد الله بن زياد على أثر ثباته على موقفه من الإمام علي كما ذكر
ذلك (السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة: ج٧، ص ٦٦)، قال: ناقلا عن أبي حسان
العجلي لقيت أمة الله بنت راشد الهجري فقلت لها اخبرني بما سمعت أباك قلت
سمعته يقول: قال حبيبي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يا راشد كيف صبرك إذا أرسل إليك
دعي بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك فقلت يا أمير المؤمنين أكون آخر

مرجوم العبدى الذي كان قد قدم ضمن وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ، وكان مع علي في موافقه وجاء لأمر المؤمنين في يوم الجمل مع أربعة آلاف، ومنهم عبد الله بن جرير العبدى^(١)، وغيرهم.

«وقد كان الإمام علي لا يعدل بريعة أحداً من قبائل العرب سوى همدان. وبذلك فإن قبائل ربيعة أهل البحرين خاصة عبد القيس وبكر بن وائل وبوقوفهم مع الإمام علي أصبحوا بالتالي مناهضين للحكم الأموي مما جلب عليهم سخط بني أمية، وكذلك الأمر في عهد بني العباس فأصبحوا من المغضوب عليهم، وأهملت البحرين وأصبحت منفى للمعارضين، فكانت أرضاً خصبة لكل من أراد الثورة أو الخروج على الحكم منذ عهد الخوارج إلى صاحب الزنج إلى القرامطة»^(٢).

وهنا يلاحظ أن عدداً غير قليل من بني عبد القيس قد انتقلوا إلى الكوفة بعد تمصيرها وخصوصاً بعدما سكنها أمير المؤمنين عليه السلام والبصرة بعد حرب الجمل، ولذلك نسب العبديون الذي انتقلوا بنسبة الكوفي والبصري فيقال العبدى الكوفي أو البصري، وأحياناً كانت

ذلك إلى الجنة قال نعم يا راشد وأنت معي في الدنيا والآخرة، قالت فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه الدعى عبيد الله بن زياد فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى أن يبرأ منه فقال له ابن زياد فبأي مية أخبرك صاحبك أنك تموت قال أخبرني خليلي إنك تدعوني إلى البراءة فلا أبرأ فتعذبي فتقطع يدي ورجلي ولساني فقال والله لأكذبن صاحبك قوموا فاقطعوا يديه ورجليه واتركوه فقطعوه وحملوه إلى منزلنا ثم دخل عليه جيرانه ومعارفه يتوجعون له فقل إئتوني بدواة وصحيفة أذكر لكم ما يكون مما علمنيه مولاي أمير المؤمنين فبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إليه الحجام حتى قطع لسانه فمات من ليلته.

(١) ورد ذكره في نقل خطبة أمير المؤمنين في جوامع التوحيد. وفي بعض الكتب عبر عنه عبد الله بن حريث العبدى.

(٢) النزر؛ خالد: مقال في موقع الكتروني: أقلام نت.

النسبة إلى البلد هذا تغلب على النسبة إلى القبيلة.

وتلاحظ نقطة أخرى أيضا وهي أن هؤلاء لما استقروا في تلك المناطق، صار غير العرب يوالونهم ويتعاقدون معهم، ولذلك سوف نجد فيما بعد أن قسما من هؤلاء يوصفون بأنهم موالي العبيدين.

شهداء عبد القيس في معركة كربلاء:

في أصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء يعد المؤرخون عشرة^(١) قد استشهدوا من العبيدين:

١- أدهم بن أمية العبدي كان من شيعة البصرة، وحضر أيضا في منزل (مارية بنت منقذ)^(٢)، استشهد يوم العاشر من محرم في الهجوم الأول^(٣):

٢- وسيف بن مالك العبدي،

٣- سالم مولى عامر بن مسلم العبدي،

٤- عبدالرحمن بن عبدالله بن يزيد العبدي،

٥- عبدالله بن يزيد العبدي،

(١) في الزيارة التي فيها أسماء الشهداء (يراجع قضايا النهضة الحسينية ج ١ للمؤلف) ذكر من شهداء العبيدين ٦ شهداء، والملاحظ أنهم من غير ألقاب مثل عامر بن مسلم، ومولاه، وسيف بن مالك، وفي بعضها الآخر بلقب القيسي كما هو في يزيد بن ثبيت (العبدي) القيسي وابناه عبد الله وعبيد الله. وهم بهذا العدد يشكلون ما نسبته ١٠٪ من شهداء كربلاء بناء على أن عدد الشهداء قد تجاوز المئة بقليل.

(٢) العبدي: كان لها منزل في البصرة يجتمع فيه شيعة أهل البيت ويتداولون فيه أمورهم، ومن هذا المنزل والملقى انطلق عدد من العبيدين إلى كربلاء لنصرة الحسين عليه السلام، للتفصيل راجع: نساء حول أهل البيت عليه السلام ج ١، نساء حول الحسين عليه السلام.

(٣) وسيلة الدارين في أنصار الحسين: ٩٩.

٦- زهير بن سليم العبدي الأزدي،

٧- عامر بن مسلم العبدي،

٨- يزيد بن ثبيت العبدي،

٩- عبد الله،

١٠- وعبيد الله ابنا يزيد بن ثبيت العبدي.

وبعد كربلاء وجدنا المثني بن مخربة العبدي يكون له دور مهم في حركة التوابين، ويحشد أهل البصرة للمشاركة فيها وكان مبرزاً بينهم حيث قاد ثلاثمائة رجل منهم واشترك مع التوابين في القتال، لكنه لم يستشهد، ثم كان مع المختار الثقفي في سنة ٦٦ هـ فقد وكله ليدعو الناس إليه فدخلها وبنى مسجداً اجتمع فيه مؤيدوه وبدأ الدعوة للمختار.

عبد القيس في خط الصادق عليه السلام:

في أيام الصادقين (الإمام محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام) كان من العبديين محدثون وشعراء على خط الولاية، مثل سفيان بن مصعب ويحيى بن بلال وغيرهما وقد قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام في سفيان: «عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ شِعْرَ الْعَبْدِيِّ فَإِنَّهُ عَلَى دِينِ اللَّهِ».. وله في المناظرات شعر، وأمره الصادق عليه السلام فقال: قل شعرا تنوح به النساء.. وقد أنشد أمام الصادق عليه السلام قصيدته في رثاء الحسين عليه السلام التي مطلعها: فَرُّوْ جودي بدمعك المسكوب. فارتفعت أصوات النساء بالبكاء^(١).

وأما الرواة فيكثر عددهم حتى لو أردنا الاستقصاء لخرجنا عن

(١) الكافي: ج ٨، ص ٢١٦.

مجال الحديث فمنهم، ربعي بن عبد الله^(١)، ومسعدة بن صدقة، وعروة بن جميع، وأبو الصباح الكناني إبراهيم بن نعيم، وعلي بن الحسين.

ومنهم بالولاء عبد الصمد بن بشير^(٢)، وعبد الله بن أبي يعفور والحسين بن حماد بن ميمون العبدي، والمثنى بن عبد السلام العبدي، وأبان بن أبي عياش فيروز.. وغيرهم.

وقد استمروا في ولائهم حين تكرر حكم الدولة الأموية وفي أيامها كانوا بين المطرقة والسندان، أو بين نارين: نار الخوارج الذين نشطوا في سواحل عُمان وجنوب البصرة حيث كان هؤلاء يعتقدون بكفر أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأن هؤلاء الذين يوالون عليا يوالون رجلا كافرا فلا بد من قتالهم.

ونار الأمويين الذين كانوا حانقين على أهل المنطقة خصوصا وإنهم لم يبايعوا الأمويين ولم يسلموا لهم بالإتباع. ويظهر أن المنطقة في العهد الأموي تحولت إلى مكان يلجأ إليه المعارضون للحكم الأموي فيجدون فيه الجو

(١) الثقة ورد اسمه في أسانيد ٧٩ رواية، ومسعدة بن صدقة الثقة من أصحاب الصادق عليه السلام، وعروة بن جميع الذي روى عنه يونس بن عبد الرحمن وعثمان بن عيسى من أصحاب الإجماع، وأبو الصباح الكناني إبراهيم بن نعيم الذي روي أن الإمام الصادق عليه السلام كان يلقبه بالميزان لوثاقته، وعلي بن الحسين من أصحاب الصادق.

(٢) عبد الصمد بن بشير الثقة الذي ورد ذكره في أسانيد ٣٥ رواية، وعبد الله بن أبي يعفور الثقة الجليل في الأصحاب والحسين بن حماد بن ميمون العبدي الذي ورد اسمه في أسانيد ٢٢ رواية، والمثنى بن عبد السلام العبدي الذي أثنى عليه الكشي، وأبان بن أبي عياش فيروز الذي يروي كتاب سليم وقد نقل بعضهم عن ابن قتيبة في المعارف: أن عبد القيس كانت تفتخر بأن بين موالها أبان بن أبي عياش. وهو وإن ضعف في بعض كلمات أصحابنا إلا أن بعض المحققين أرجع ذلك إلى كلمات مخالفي أهل البيت، وكونه من رواة الأحاديث التي لا يتحملها البعض منهم، وللتفصيل يراجع كتاب سليم بن قيس بتحقيق: محمد باقر الانصاري الزنجاني.

المنسجم مع توجهاتهم، وخصوصاً أنها كانت ذات طرفين، فالبحرين كانت تمثل الموئل الخلفي لمن يفر من القطيف، وبالعكس.. مما حدا بعبد الملك بن مروان أن يبعث بالمبلغين والدعائيين فلما لم ينجحوا جرّد حملة للعقوبة فقامت تلك الفئات العسكرية بتخريب في المنطقة، وبطمر للعيون التي كانت تروي مزارعها، وبالذات عين تسمى عين السيجور في البحرين.. واستغل حربه مع الخوارج لتصفية حساباته مع الشيعة..

أيام العباسيين أيضاً كانت الأمور تراوح واستمرت الأمور هكذا، بحيث يقوم خليفة ويسقط آخر، وكل شيء يتغير غير شيء واحد ظل ثابتاً هو خط الولاء لأمير المؤمنين.. وشهدت بعض الثورات ضد العباسيين ولكنها كانت تحمد..

وكانت محاولات من قبل صاحب الزنج للسيطرة على المنطقة في حوالي سنة ٢٤٩ هـ، واستقطاب أهلها باعتبارهم غير منسجمين مع الخلافة العباسية، لكن صدور توقيع عن الإمام الهادي عليه السلام بشأنه وأن «صاحب الزنج ليس منا أهل البيت»^(١) جعل هذه المحاولات عقيمة. بل تصدى له العريان في بني عبد القيس وأخرجوه من بلادهم^(٢).

العيونيون يهزمون القرامطة:

وحصل في المنطقة في وقت متأخر حوالي سنة ٢٨٥ هـ مجيء القرامطة إلى المنطقة واستفحل وجودهم، واحتلوا القطيف، وتوجهوا

(١) هناك خلاف في انتساب علي بن محمد المعروف بصاحب الزنج، فالأكثر على أنه ليس من بني هاشم، وقد كان رفع هذا الشعار من أجل جلب الناس لتحركه.. وكلمة الإمام الهادي عليه السلام، شاملة للجهتين، فهي -على فرض صدورها- تنفي النسب، وتنفي تطابق المنهج، مثل ليس منا من دعا إلى عصبية. وليس منا من غشنا.

(٢) العوامي: السيد عدنان، مقال بعنوان القطيف.

لاحتلال الأحساء وقتلوا جمعا كبيرا من عبد القيس بعد قتل زعمائهم..
والعجيب أن هناك من الجهلة والطائفيين من يدّعي بأن القرامطة هم
من الشيعة مع أنهم عندما وصلوا إلى المنطقة، فتكوا بأهلها فتكا ذريعا
حتى أحرقوا بعض زعمائها أحياء. وإلى هذا المعنى يشير الشاعر علي بن
المقرب العيوني^(١) في قصيدته التي بين فيها بعض ما ارتكبه القرامطة
بحق عبد القيس - شيعة أهل البيت عليه السلام -:

(١) ترجمه الشيخ البلادي البحراني في أنوار البدرين بقوله: الشيخ علي بن مقرب: فمن
أدبائها البلغاء وأمراثها النبلاء الأمير الأديب الأريب المهذب الشيخ علي بن مقرب
الأحسائي ينتهي نسبه إلى عبد الله بن علي بن إبراهيم العيوني الذي أزال دولة
القرامطة من ربيعة وكان هذا الشيخ أديبا فاضلا ذكيا أديبا شاعرا مصقعا من شعراء
أهل البيت عليه السلام ومادحيهم المتجاهرين ذا النفس الأبية والأخلاق المرضية والشيم
الرضية وقد كشف جامع ديوانه وشارحه كثيرا من أحواله بتفصيله وإجماله وهو
مطبوع الآن وإن كان الظاهر أنه من المخالفين له في المذهب ولهذا حذف من أشعاره
المراثي والمدائح وجرد منها ما هو الأولى والأحرى بالذكر والصالح وتحتمل التقية
في حقه وقد وقفت له على مرثي كثيرة على الحسين عليه السلام سبط المصطفى منها المربعة
في نظم مقتل الحسين عليه السلام ومنها قصائد من جملتها المشهورة التي أولها:

من أي خطب فادح نتألم ولأي مرزئة ننوح ونلطم
إلى أن يقول في آخرها:

قمنا بستتكم وحطنا دينكم بالسيف لا نالوا ولا نتبرم
وعلى المنابر صرحت خطباؤنا جهرا بكم وأنوف قوم ترغم
لا تسلموني يوم لا متأخر لي عن جزا عملي ولا متقدم
وفي نظمه الحماسة والأمثال الجيدة مع البلاغة المستحسنة وقد أصابته من بني عمه نكبات
أوجبت له تجشم الغربات وفي ديباجة شرح ديوانه شرح لما لقيه في زمانه من أراد
فهو مبذول.

وفي هامش الكتاب المذكور: ومن جملة قصائده في رثاء الحسين عليه السلام قصيدة عينية أولها:
يا باكيا لدمنة ومربع ابك على آل النبي اللوذعي
ويقول في آخرها:

يا آل طه أنتم و سيلتي عند إلهي وإليكم مفزعي

وحرّقوا عبد قيس في ديارهمُ وصيروا الغرّ من ساداتهم حمما
فكان العيونيون وهم من شيعة أهل البيت عليه السلام من ٤٦٠ هـ
إلى حوالي ٢٠٠ سنة بعد ذلك وهم الذين قاوموا القرامطة واستطاعوا
إخراجهم بعد جولات عنيفة من القتال المستمر^(١) لمدة سبع سنوات وقد
سجل الشاعر العيوني علي بن المقرب هذا في قصيدته المذكورة حيث قال:
وحرّقوا عبد قيس في ديارهمُ وصيروا الغرّ من ساداتهم حمما
سل القرامط من شظى جماجمهم فلقا وغادرهم بعد العلا خدما
وحكموا المنطقة طيلة هذه الفترة.

ولكي يتبين لك مدى تغلغل منهج أهل البيت واستحكامه
في المنطقة، ننقل لك ما ذكره ابن بطوطة في كتابه المعروف (رحلة

(١) ذكر الشيخ علي البلادي البحراني في أنوار البدرين، ص ٣٩٣: ما يلي: (أقول): ولم تنزل
القرامطة في دولتهم ومنكراتهم حتى أباد الله دولتهم وأخذ صولتهم بظهور الأمير
عبد الله بن علي العيوني الأحسائي آل إبراهيم من ربيعة جد الأمير علي بن مقرب
الشاعر الأديب فبقي يراوهم ويغادهم بالحرب مدة سبع سنوات وهو في أربعمئة
رجل وربما تزيد قليلا حتى ذهبت أيامهم وعفت رسومهم وأعوامهم ومن جملة ما
اتفق في إدبار أمرهم وقطع شرهم أن أبا البهلول العوام بن محمد بن الزجاج الذي
أحدث قرية العوامية من بني عبد القيس تغلب على جزيرة أوال وانتزعها من أيديهم
وطرد عاملهم عنها فلما سمعوا الخبر حشدوا الجنود الكثيرة من الأعراب وغيرهم
وأتوا بهم إلى القطيف وكانت لهم فجهزوا ثلثمائة سفينة مملوءة عساكر وعليهم أمير
من جنتهم فلما توسطوا البحر بين البحرين والقطيف في الموضع المعروف إلى الآن
بكسكوس عصفت بهم ريح عظيمة فأغرقتهم جميعا إلى أن صار ما ذكرناه من قطع
أدبارهم وقلع آثارهم وقد أشار إلى ذلك الأديب الشاعر المهذب علي بن مقرب في
بعض قصائده بقوله:

سل القرامط من شظى جماجمهم طرا وغادرهم بعد العلا خدما
وما بنوا مسجدا لله نعلمه بل كلما وجدوه قائما هدموا
وحرّقوا عبد قيس في منازلها وغادروا الغر من ساداتها حمما

ابن بطوطة) ففيه يقول: « ثم سافرنا إلى مدينة القطيف كأنه تصغير قطف (!)، وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير يسكنها طوائف العرب وهم رافضية^(١) غلاة!! يظهرون الرفض جهارا ولا يتقون أحدا ويقول مؤذنهم في أذانه بعد الشهادتين أشهد أن عليا ولي الله، ويزيد بعد الحيعلتين (حي على الصلاة حي على الفلاح) حي على خير العمل... ثم يسترسل ويذكر عن مدينة الأحساء، ويؤكد على أن سكانها عرب (لا كما يشوش البعض فيربط بين التشيع وبين الانتماء غير العربي) وأنهم من عبد القيس.. فيقول:

ثم سافرنا منها إلى مدينة هجر وتسمى الآن بالحسا وهي التي يُضرب المثل بها فيقال كجالب التمر إلى هجر، وبها من النخيل ما ليس ببلد سواها، ومنه يعلفون دوابهم، وأهلها عرب وأكثرهم من قبيلة عبد القيس بن أفضى^(٢).

وأنت تلاحظ أن هذه الشعائر المعروفة عن شيعة أهل البيت، كانت سائدة في المنطقة منذ ما يقارب السبعة قرون من الزمان.

التعاون مع العثمانيين لصد البرتغاليين

ونظرا لكون المنطقة ذات خيرات كثيرة، فقد أُعْري بها الطامعون من مختلف الآفاق فجاء البرتغاليون واحتلوا المنطقة، ولهذا ترون أن قسما

(١) ما أشبه الليلة بالبارحة.. هذا هو الخطاب الطائفي الذي لا يزال عند قسم من الناس.. لماذا هم غلاة؟ لأنهم يظهرون عقائدهم؟ ويقولون أشهد أن عليا ولي الله؟ أو أنهم يقولون حي على خير العمل!! وورطة شيعة أهل البيت ورطة فإن كتموا عقيدتهم وأخفوا شعائرهم اتهموا بأنهم منافقون وبأنهم يكيدون للدين.. إلخ، وإن أظهروا عقيدتهم وأعلنوا شعائرهم صاروا غلاة ورفضة!! فإذا يصنعون؟
(٢) رحلة ابن بطوطة، ٢٨٠، طبعة دار صادر.

من الآثار الباقية تعود لهؤلاء الغزاة، وهنا موقف يبين منهاج شيعة أهل البيت عليهم السلام في مقاومة التحديات التي تواجههم، فإن المنطقة لما احتلت من قبل البرتغاليين، قام أهل المنطقة بالاتصال بالأتراك العثمانيين ولم يمنع الخلاف المذهبي الموجود (باعتبار كون الأتراك حنفيي المذهب) من ذلك التواصل والتعاون على طرد المستعمر الأجنبي الكافر، وبالفعل كان نتيجة ذلك أن أُخرج البرتغاليون من المنطقة، مع أنه كان يمكن لأهل المنطقة أن يضمّنوا لأنفسهم حماية قوة كبرى تصد عنهم غارات البدو وأعداء المحيط. ولكنهم ضمن ثوابتهم الدينية رأوا أن عليهم أن يتحالفوا مع الأتراك المسلمين ضد الكفار الأجانب، وسوف يكررها أهل المنطقة في وقت لاحق كما سيأتي. وبقي الأتراك فيها إلى حوالي سنة ١٠٨٠ هـ مع أن الأتراك قد أساءوا إلى أهل البلاد في فترات مختلفة، واضطهدوهم^(١).

(١) ذكر ذلك المحقق السيد عدنان العوامي في مقالة له بعنوان القطيف ونقل ما قاله بنصه - على طوله لفائدته -: دخول الأتراك: كان راشد بن مغامس، قد استولى على الأحساء من الجبريين، وضمها إلى إمارته في البصرة سنة ٩٣١ هـ ١٥٣٤ م، وعند دخول السلطان العثماني سليمان القانوني بغداد، تنازل له عن الحكم، وسلم له مفاتيح إمارته، وتقديرًا من السلطان لمبادرة الشيخ راشد هذه أنعم عليه بالولاية فدخلت الأحساء تلقائيًا في حوزة العثمانيين، فأسند راشد بن مغامس إدارة شؤون الحكم في الأحساء إلى ولده مانع، وكان أهالي القطيف كانوا يتحينون الفرصة طويلاً كي يتخلصوا من هيمنة الإحتلال البرتغالي، فقاموا في سنة ٩٤٦ هـ ١٥٣٩ هـ بالثورة على والي البرتغاليين الهرمزي عبد الغفور بن عبد الرحيم، وأعلنوا انضمامهم إلى أشقائهم الأحسائيين تحت حكم والي العثمانيين راشد بن مغامس، ولكن ولده مانعًا - على ما يبدو - كان غرًا طائشًا، ولم يكن يعرف ما بين القطيف والأحساء والبحرين من أواصر القربى، فقام بمحاولة غزو البحرين، مما أغضب أهالي الأحساء والقطيف، فثاروا عليه، فلم يتمكن من تحقيق غرضه فلجأ إلى البصرة، ويبدو أن أباه راشدًا أعاد ترتيب الأوضاع بتهدئة مشاعر الأهالي، فاستتب له الأمر إلى حين. بعد خمس من السنين، أي في سنة ١٥٥٠ م، وجد أهل القطيف فرصة أخرى للخلاص

استمر الأتراك في حكم المنطقة مدة ١٢٠ سنة، ثم ضعف أمرهم، فاستطاع بنو خالد السيطرة على المنطقة، وأيضا بقوا يحكمونها مدة ١٢٠ سنة تقريبا، وقد تداخلوا في هذه الفترة مع الأهالي مما جعلهم يتأثرون بطريقة حياتهم، وثقافتهم، وكان نتيجة ذلك التداخل الاجتماعي والتأثر الثقافي أن وجدنا قسما من بني خالد قد تأثروا بمذهب أهل البيت عليه السلام، ولعل الناظر إلى العوائل والقبائل هنا يلحظ عددا من القبائل لم يكن التشيع فيها قبل ثلاثمائة سنة لكن بدأ فيها خلال هذه الفترة، فتشيعت قبائل بكاملها أو نسبة منها، ولا يزالون إلى يومنا هذا.

من حكم الأجنبي، فقاموا بطرد المعتمد الهرمزي المعين من قبل البرتغاليين، وأوفدوا أعيانهم إلى بغداد لطلب الحماية، من العثمانيين، فتخلصت البلد، مرة أخرى، من الاستعمار الأوروبي، لكن العثمانيين خيبتهم الآمال بما مارسوه مع الأهالي من ظلم وجور، بما فرضوه من الضرائب والإتاوات، ومصادرة الأراضي، والأموال حتى أنهم لم يستثنوا، من المصادرة، ميراث الميت الشيعي، فاعتبروا الميت من أهل القطيف مشركا، أو كافرا، مستحلا ماله، مهدورا دمه، مما حمل الناس على وقف عقاراتهم وبساتينهم حماية لها من المصادرة، ناهيك عن فرار كثير من الأهالي إلى البلدان المجاورة كالبحرين وأبي الخصب، بالعراق، وأبي شهر والمحمرة، ولجنة وغيرها من المدن الإيرانية، وبسبب هذه الممارسات الظالمة شهدت المنطقة عموما، والقطيف بصورة خاصة، ثورات متلاحقة، شارك فيها حتى قادة الجند العثماني تضامنا مع الأهالي، وفي أواخر القرن السادس عشر بلغ تعسف العثمانيين ذروته مما ألهم مشاعر العداء تجاههم، وفي ظل هذه الأوضاع المتردية ثار الأهالي، وفي طليعة الثوار قبيلة بني خالد، بقيادة زعيمهم الشيخ سعدون، فانضم إليه زعماء القطيف بقيادة عبد الله بن ناصر بن مقلد حتى استخلصوا الأحساء كلها من العثمانيين، ومن القطيف استخلصوا صفوى وحدها، بينما استطاع العثمانيون إحكام قبضتهم على القطيف وقرها بسبب الإمدادات العسكرية التي وصلتهم من البصرة وبغداد وشهرزور. وبسبب عنف المقاومة نزع عدد من أعيان القطيف ووجهائها إلى البحرين برفقة زعيمهم الأكبر عبد الله بن المقلد، وشاعرهم الشهير أبي البحر جعفر الخطي، وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٩٩٩هـ، سبتمبر ١٥٩١م. وعلى ذات الوتيرة كان تعامل أهل القطيف مع ابراهيم باشا عندما غزاها، فطردوا قواته سنة ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م، أي بعد أقل من عام من سيطرته عليها سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م.

ويرجع سبب ذلك إلى القاعدة الاجتماعية في أن الفكر الصحيح أقوى من الآلة العسكرية، وهو نفس الأمر الذي جعل المغول يتأثرون بالإسلام ويسلمون مع أنهم جاؤوا فاتحين في الأصل هذا مع الفارق بين المثالين ولكن الغرض هو الاستشهاد. وهناك سبب آخر محتمل وهو أن الخوالد قد تعاملوا مع المنطقة بحالة منفتحة، دون أن يكون هناك شحن طائفي يُقصد منه فصل الفئات عن بعضها، ومنع التأثير والتأثير بينها! بخلاف ما صار موجودا في أزمنة متأخرة.

غير أن الأمر لم يستمر لبني خالد، فعاد الأتراك مرة أخرى وسيطروا على المنطقة، وقد شهد عهدهم الجديد حالة من الانفتاح الثقافي والحرية، وحصل في وقت متأخر انتشار الحوزات والمدارس العلمية إلى حد أن المنطقة كان يوجد فيها عدد من المجتهدين، رجع الأهالي في التقليد إليهم وكان في البلاد حركة ثقافية وأدبية متميزة شهدت الكثير من التأليفات، ووجد فيها الكثير من الشعراء والأدباء مما يحتاج له إلى حديث خاص به. واستمر هذا الحال إلى سنة ١٣٣١هـ.

في سنة ١٣٣١ هـ دخلت المنطقة تحت حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود المؤسس للمملكة^(١). وهنا لا بد من تسجيل نقطة أشرنا إلى مثلها في ما سبق وهي تحكي عن الحالة الوطنية والدينية التي كان عليها أهل المنطقة وعلماؤها، فإنه يُنقل أن المنطقة التي كان فيها حامية تركية ضعيفة، أُريد استغلال أمرها من قِبَل البريطانيين فأرسلوا

(١) في مقالة لابن عممتنا الأستاذ عبد العلي آل سيف نشرت في مجلة الواحة، بعددها رقم ٣٥، ذكر تفاصيل عن ذلك سوف نأتي على ذكرها بعد قليل، ننشر جزءا منها يرتبط بهذا الموضوع. لإكمال الفائدة.

بارجة حربية رابطة على الموانئ وعرضت الحماية على أهل المنطقة^(١)، فما كان من علمائها إلا أن وقفوا الموقف الديني الطبيعي في مثل هذه الموارد عند الاختيار بين من هو مسلم ومن هو كافر، فكان أن قام علماء القطيف ونواحيها بتسليمها إلى مندوب الملك عبد العزيز من دون قتال وكذا كان الحال في الأحساء حيث قام العلماء بتسليم البلاد ضمن إطار حفظ الحقوق والحريات الدينية.

كيف دخلت القطيف تحت حكم الملك عبد العزيز؟

* كنت أحب أن أتعرض إلى دخول القطيف تحت حكم الملك عبد العزيز، غير أنني وجدت أن ابن عمتنا الأستاذ عبد العلي آل سيف، قد نشر شيئاً مفصلاً عن هذا الموضوع في مجلة الواحة، فأثرت لتتم الفائدة أن أنقله هنا.

« كان تشييعُ القطيف بعد دخولها تحت الحكم السعودي بقيادة الملك الراحل عبد العزيز، واحداً من الأسباب التي ثار لأجلها زعماء منظمة الأخوان على الملك الراحل^(٢)، باعتبار أن المنظمة تتمثل تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي يرى الشيعة رافضة، والتشييع كفراً، فحاول علماء نجد التوفيق بين الملك وزعماء المنظمة، فأصدروا فتوى شهيرة، جاء فيها:

«وأما الرافضة: فأفتينا الإمام أن يلزمهم البيعة على الإسلام،

(١) شكك الباحث العوامي في قيام البريطانيين بذلك. قائلاً إن طبيعة العلاقة بين البريطانيين والملك عبد العزيز لا تسمح بقيام شيء من هذا القبيل، وأيد ذلك - في حوار مع الكاتب - بوجود بعض الوثائق في هذا الشأن.

(٢) الجزيرة العربية، حافظ وهبة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ط الرابعة، ص: ٢٩٦.

ويمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل، وعلى الإمام، أيضا، أن يلزم نائبه على الأحساء أن يحضرهم عند الشيخ بن بشر، ويبيعهوه على دين الله ورسوله وترك دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم، وعلى ترك سائر البدع من اجتماعهم على مآثمهم، وغيرها مما يقيمون به شعائر مذهبهم الباطل، ويمنعون من زيارة المشاهد، وكذلك يلزمون بالإجماع على الصلوات الخمس، هم وغيرهم، في المساجد، ويرتب فيهم أئمة ومؤذنون ونواب من أهل السنة، ويلزمون بتعليم ثلاثة الأصول، وكذلك إن كان لهم محال مبنية لإقامة البدع تهدم، ويمنعون من إقامة البدع في المساجد وغيرها. ومن أبي قبول ذلك ينفي من بلاد المسلمين. وأما الرافضة من أهل القطيف: فيلزم الإمام -أيده الله- الشيخ بن بشر أن يسافر ويلزمهم بما ذكرنا...»^(١).

وبصدور هذه الفتوى بدأت القطيف مرحلة من الضيق، فقد قدم الشيخ بن بشر إلى القطيف فكان له لقاء بالعلماء في الدرويشية، وتمثل موقع إمارة القطيف وأميرها بن سويلم حينها، وكان من أبرز هؤلاء العلماء الخنيزيَّان العلامة الشيخ علي أبو الحسن والشيخ علي أبو عبد الكريم «قدس الله سرهما»، والعلامة السيد ماجد العوّامي، وجرى حديث صريح من قبل هؤلاء الأعلام حول أسس الاعتقاد لدى الشيعة، وأنه لا يجانب التوحيد الصحيح حسب فهم أهل البيت، ففهم منهم ما لم يفهمه علماء نجد، وكان قدم معه أئمة لإقامة الجماعة من علماء نجد ليأتموا أهل القطيف في صلواتهم، وكانت فترة عصيبة أجبر الناس فيها على الحضور لأداء الصلوات بالإكراه.

(١) نفسه، ص ٢٩٥.

ويبدو أن بن بشر عاد للرياض وقدم تقريره، بيد أن العلماء النجديين لم يرضهم ذلك. فقد فرضت الجزية بعنوان الجهاد على أهل القطيف، وكانت على الفرد وعلى الدابة وعلى البيت وعلى الدكان، وانطلقت في تصاعد في مضاعفاتها مرة واثنين، باع الناس مقتنياتهم الخاصة، وباع النساء مصوغاتهن دفعا عن أنفسهن وعن أزواجهن وأولادهن، ولعل حاجة الحكومة الناشئة للمال للإنفاق على المعارك التي يقودها الملك ضد كل من لم يدخل في الطاعة، أو يعلن العصيان، هو دافعه لفرض هذه الضرائب.

المقتدرون من أهل القطيف فرّوا إلى البحرين، والضعفاء تواروا عن الأنظار خوفا من الملاحقة، ومن وقع في يد السلطات كلف بالعمل تسخيرا لقاء ما في ذمته.

إن وجود هذا العدد الكبير من أعيان القطيف في البحرين لم يكن خافيا، والبحرين حينها حاضرتها المنامة لا تملك إخفاء هذا العدد الكبير من المهاجرين، وحيث كان المتضرر الأكبر من تابعة القطيف للدولة السعودية هو عبد علي بن منصور باشا فجرى حديث للتدخل البريطاني إلا أن المندوب السامي البريطاني في البحرين طلب أن يعزز هذا الطلب بخطاب من الحجّة أبي عبد الكريم الخنيزي تُنَسِّخُ لِيَتِمَّ هذا التدخل، وإدخال القطيف تحت التبعية البريطانية، إلا أن الشيخ، بحسه الوطني، رفض التبعية لبريطانيا، وأرسل، بذلك، خطابا للمندوب السامي، ويقال إن هذا الخطاب وقع في يد الملك عبد العزيز فعرف له هذه الوطنية المتميزة.

ولعل بريطانيا، بعد هذا الرد من الشيخ الخنيزي، لم ترد تصعيد

الموقف مع الملك عبد العزيز فأوعزت إلى أحد شيوخ الدواسر بالتدخل، وبدأ على أثر ذلك المهاجرون بالعودة، ولكنها بما يشبه المظاهرة تحدياً لابن سويلم أمير القطيف حينها، وتلاه ما يشبه العصيان المدني، وكانت العوامية وسيهات تنزعمان هذا العصيان.

ويبدو أن زعماء القطيف اتفقوا على إرسال وفد لمقابلة الملك عبد العزيز للتفاوض معه فيما يهم أمر القطيف فوق الإختيار على الوفد المكون من الحاج أحمد الخنيزي والحاج رضي العلقم والحاج محمد حسين الفرج، رحمهم الله، وبزعامة العلامة الشيخ منصور آل سيف ^{فُتْرَتْ}.

وكانت المشكلة التي اعترضت هذا الوفد هو الالتفاف على أمير المنطقة الشرقية حينها بن جلوي لما عرف عنه من قسوة وجدية في تنفيذ الأوامر، فكان لا يقبل اعتذاراً، أو تأخيراً عن الإمتثال لأوامر الدولة، وإنما يعتبره استخفافاً بالسلطة، وعدم طاعة الولاية، واتفق الجميع على الإبتعاد عن طريق الأحساء، مقر الإمارة وقتها، فلم يكن إلا السفر إلى البحرين، ومنها إلى بومبي بالهند ثم إلى جدة بالباخرة برفقة الحجاج الهنود. بقي الوفد قرابة ستة أشهر فكانت مفاوضات شاقة بمنتهى الصراحة، والشفافية وطلب الوفد من الملك أن يقرر موقفه من أهل القطيف مسلمون هم أم كفار كما تراه الفتوى؟ وإلا فكيف تعتبرهم الدولة مسلمين، وتحاسبهم على زكوات أموالهم، وفي نفس الوقت تعتبرهم غير مسلمين وتأخذ عليهم الجزية؟.

إن حنكة الملك عبد العزيز السياسية أنهت هذه المسألة، وأقر بأن أهل القطيف مسلمون، لاسيما وهو يعلم أن دولة كبرى هي إيران لها ثقل في العالم الإسلامي والدولي دستوراً ينص على أن التشيع مذهبها

الرسمي، وحجاجها يفدون إلى المملكة بالآلاف لأداء مناسك الحج كل عام، عدا عن شيعة الهند والباكستان ولبنان، وهل يصح الحج لغير مسلم؟.

وبدأت تباشير انقشاع هذه المعضلة الكبرى بالانفراج، وسلم الملك الشيخ منصور، والوفد المرافق له، رسالة مختومة لأمير الأحساء، ولكن الشيخ أبي استلامها إلا مفتوحة، وقال قولته المشهورة إننا لسنا سعاة يريد، إنما نحن نمثل بلدا وضع ثقته فينا، فإمّا أن نعلم ما في الخطاب وإلا فنحن باقون حتى ينتهي طلبنا، واستجاب الملك لموقفهم، وأقرأهم الكتاب، وكان فيه رفع كل أنواع ضريبة الجهاد، وطلبوه، أيضا، في الزكاة المتأخرة على الناس لسنين لم يدفعوها لضيق ذات اليد فاجابهم، وبذلك بدا الوفد رحلة العودة، وبرزت لهم المشكلة الأولى: المرور بالأحساء، فصمموا على سلوك طريق لا يمر بالأحساء.

استاجر الوفد دليلا من المرّة، وهم أهل معرفة بطرق الصحراء، على أن لا يمر بهم بالأحساء، وانطلق الركب، ولكنه ضل الطريق، وكادوا أن يموتوا من الجوع والعطش، وما وصلوا إلى الجبيل إلا بشق الأنفس، وكانت معاناتهم كبيرة جدًّا، فقد أنهكهم الجوع والمرض والتعب والسهر والخوف من الطريق وما فيه من وحوش ضارية وبوصولهم استقبلوا استقبالًا حارًّا أنساهم طول عنائهم^(١).

(١) آل سيف: عبد العلي، مجلة الواحة، عدد: ٣٥.

— |

| —

— |

| —

من مشاكل النهوض في مجتمعنا الشيعي

يمتلك المجتمع الشيعي حسب الكثير من المفكرين مؤهلات النجاح والتفوق والانطلاق، غير أن الواقع القائم يؤكد وجود معوقات تمنعه عن ذلك أو تؤخره.. فما تلك المشكلات والمعوقات المانعة له عن الانطلاق؟

وللاجابة عن السؤال نقدم مقدمة من نقطتين:

النقطة الأولى: المجتمعات البشرية تحتوي على مشاكل متشابهة في الجملة، لكن تختص بعض المجتمعات بمشاكل خاصة بها، بل أحيانا نفس المشكلة المشتركة في مجتمعين يكون لها عوامل مختلفة، فعلى سبيل المثال: البطالة ليست مشكلة خاصة وإنما هي مشكلة عامة فهي موجودة في أكثر المجتمعات في هذا الزمان: المتقدمة منها والمجتمعات النامية، برغم اختلاف الأسباب. فقد تكون أسباب البطالة في البلاد المتقدمة مكننة الإنتاج والاعتماد على الآلات والكمبيوتر، بينما هي في المجتمعات النامية عدم وجود الفرص الكافية أو سوء الإدارة للثروة.. وهكذا فإنه برغم أن المشكلة واحدة إلا أن الأسباب مختلفة.

ولهذا لا بد من النظر إلى المشكلة ضمن إطارها الخاص في المجتمع المعين الذي يراد البحث عنه.

النقطة الثانية: عندما نتحدث عن المشاكل لا بد أن نفكر في الجذور

و المناشىء و الأسباب فالكثير من الناس يلاحظون الظواهر و يقلقون من الآثار. مثلاً: يرون شاباً قد أخطأ في طريق الاستقامة فيقوم بأفعال خارجة عن العرف الديني، كثير من الناس يقلقون من هذه المظاهر و لا يرتاحون لها وهذا قلق من الآثار و من المفروض أن نفكر في جذر هذه المشكلة فلا بد أن نتساءل لماذا يتصرف هذا الشاب بتلك الطريقة و ما الذي يدعوه إلى هذا السلوك و يدفعه إلى هذا التصرف؟.

و على سبيل المثال مجتمعنا التابع لأهل البيت عليهم السلام يمتلك من الإمكانيات الشيء الكثير و يحتوي على مقومات الانطلاق و التقدم، لتساءل لماذا لم يتقدم؟ لماذا لم يرتق بالنحو المطلوب؟ إن مما يثير التساؤل أن ترى طائرة معدة للطيران بشكل كامل و قائدها موجود و المدرج معد و مهياً و الحاجة للانطلاق مُلحّة.. و مع ذلك لا تطير، لا بد أن نتساءل لماذا لا تطير مع وجود كل مقومات الطيران و الانطلاق؟ و مع انتفاء الموانع عنه.. ما الذي يمنعها من الطيران و التحليق؟ هل هناك شيء يثقلها؟.

إن هذا المجتمع يمتلك فكر أهل البيت عليهم السلام و هو فكر حيوي متفاعل، و يمتلك من القدرات التاريخية الرائعة العدد الجسم، كما أنه يمتلك الحساس الديني المتفاعل في نفوس شبابه و شبابه، و لا يفتقد الإمكانيات المادية اللازمة.. فلماذا يبقى رهين التخلف؟.

لماذا نتعرض إلى هذه المشاكل؟.

سوف يتضح أن هناك مناهج متعددة في التعامل مع المشاكل الاجتماعية و أن طريقة التعامل مع هذه المشاكل، تؤثر في أن يتحرك الملاحظ لحلها، و تغييرها أو أنه يتخذها مبرراً للتقاعس، و الكسل عن

الدخول إلى الساحة الاجتماعية.

إن الغرض من التعرض إليها، كشفها وبيان شيء من أسبابها، والتفكير في حلول لها، كيلا تعيق المجتمع عن حركته، والعاملين عن نشاطهم..

أما مناهج التعامل مع تلك المشاكل، فيمكن لنا أن نذكر منها ما يلي:

المنهج الأول: التستر والإخفاء: يقول أصحاب هذا المنهج والذين يوجدون في أكثر البلاد الإسلامية على مستوى الدول أو المجتمعات والطوائف: يجب التستر على المشاكل الحاصلة في المجتمع، وتجنب تداولها والحديث فيها، وذلك لأن الحديث عن هذه المشاكل والاعتراف بوجودها يضعف المجتمع. فلا بد من إبراز المجتمع أمام الآخرين على أنه قوي متماسك لا مدخل للمشاكل فيه، ولا يوجد فيه إلا كل خير..

وربما يعلل هؤلاء مثل هذا التوجه بأن مفاد آيات القرآن الكريم هو التستر على المشاكل وعدم إظهارها.. كما يعتقد أصحاب هذا المنهج أن إظهار المشاكل عبر الحديث عنها يؤدي إلى أن يشمت العدو فينا.. بينما المفروض أن نري الأعداء قوة جبهتنا الداخلية وتماسكها.

ومن الواضح أن هذا المنهج غير صحيح، فإن إخفاء المشكلة والتستر عليها لا ينهيها، وهو أشبه بالإغماض عن المرض، لفترة من الزمان حتى إذا استفحل لم يكن ممكنا التستر عليه، ولا استفحاله لا يمكن علاجه أحيانا.

الطريف أن الكثير ممن يرون هذا المنهج، ويعملون به عندما تبدو المشكلة فاقعة أمامهم بكل قوتها يتساءلون: أين كانت هذه المشاكل ولماذا وصل مجتمعنا إلى هذا الحد! وجوابه أن المشاكل كانت موجودة، ولكن كان يتم التغاضي عنها، والتستر على وجودها، حتى وصلت حدا لا يمكن إخفاؤها معه!

المنهج الثاني: التهويل والتهريج السلبي: هناك قسم من الناس يعتمدون المبالغة والتهريج السلبي وتضخيم المشاكل، بنحو غير علمي، وإذا أردت أن تنظر إلى هذه الحالة فاسأل شخصا عن الأوضاع فإنه يجيبك بنظرة سلبية وسوداوية بالنسبة لكل شيء. فلا يوجد عنده في المجتمع شيء حسن، فالكبار جاهلون والشباب متهورون، والنساء متهتكات.. والعلماء مصلحيون أو قاعدون، والتجار بخلاء وغير باذلين.. وهكذا.

إنه لا يرى في المجتمع سوى بقع السواد، وإن لم تكن فهو يخلقها في ذهنه من خلال ملاحظات مبتسرة وسريعة لبعض المظاهر التي لا تشكل ظاهرة.

وهذا النهج مع الأسف يوجد في فئات كثيرة. والحقيقة أن له خلفية نفسية، ولا يُتصور أن هذا المنهج يتبعه هؤلاء الناس مجانا ومن غير وعي، وإنما لأنه يصل في نهاية الأمر إلى تبرير الكسل والتقاعد عند نفس الشخص، بحجة أن العمل لا ينفع ما دام المجتمع وصل إلى هذه الحالة، وما دام من يُعتمد عليهم قد أصبحوا بهذا النحو.

وهذا المنهج غير صحيح لأنه يرى نصف الحقيقة أو ربعها والإخبار عنها كأنها الحقيقة كاملة، وربما اختلق أصحابه بعض الصور

من غير واقع لها في المجتمع.

المنهج الثالث: منهج القرآن الكريم في معالجة المشاكل، ونعرض هنا إلى ذكر بعض ميزاته بنحو عاجل:

منهج منصف: فهو يسلط الضوء على كامل صورة المشهد، لكي يأخذ منها ما يعتبر به قارئ القرآن، ويتعظ به، فإذا كانت هناك صورة حسنة حتى من المخالفين للأمة الإسلامية فهو يذكرها ويعطي منهجا لأبناء المسلمين أن يكونوا منصفين مقسطين في التقييم والحكم حتى مع الأعداء ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰٓيْكُمْ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

وإذا كانت هناك صور غير حسنة، ومشاكل موجودة لدى أبناء الأمة المسلمين فإنه لا يتأخر عن ذكرها، حتى لو قرأها غير المسلمين (وشمتوا بهم)!! فإن المهمة القصوى من ذكر تلك المشاكل أن ينتفع المسلمون بالتجارب، ويجتنبوا مواضع الخطأ، وهذا الهدف يهون عنده ما سواه.

منهج واقعي: ينفذ إلى جذور المشكلة ولا يكتفي بعرض آثارها، فهو في أثناء حديثه عن تجربة المسلمين في صراعهم مع الكفار يقول: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾^(٢).

(١) سورة المائدة، آية: ٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ٢٥.

ففي حوالي ثمانين واقعة انتصر فيها المسلمون على أعدائهم، لكنهم حين أعجبتهم كثرتهم وقلَّ توكلهم على الله كانت النتيجة أن انهزموا. فهنا يجذر من أساس المشكلة وهو الإعجاب بالكثرة.

وفي سورة آل عمران نجد الكثير من الآيات التي تتعرض إلى مشاكل المواجهة، والصفات السيئة التي توجد لدى بعض المسلمين وتنتج الهزيمة والتأخر. يقول تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْتُمُ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ (١).

وينفذ القرآن إلى بواطن النفوس لكي يكشفها على الملأ، فيقول:

- ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٥﴾﴾ (٢).

- ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبْتَغَىٰ فَنَاصِبًا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿١٥٦﴾﴾ (٣).

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٣/١٥٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٥.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٢.

وهذا المنهج أشبه بمنهج الطبيب الذي يتعمق في فهم الداء، ويدقق في تشخيصه تدقيقاً تاماً ثم يصف الدواء بناءً عليه، من دون أن يتستر عليه، ولا أن يبالغ في تضخيم آثاره، ويهول منه. ويخبر المريض (أو من يعنيه أمره) بحقيقة مرض المريض.

ولو نظرنا إلى كلام أهل البيت عليهم السلام لوجدناهم لا يفارقون هذا المنهج في معالجة المشاكل الاجتماعية.. فكثيراً ما تحدث أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه مبيناً لهم نقاط ضعفهم «ألا وإنه ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم حقي»^(١). فمجرد كون الإنسان على الحق لا يجعله متصراً بالضرورة، فهاهم أهل الشام ليسوا على حق ولكن لديهم ميزة تجعلهم متفوقين وهي طاعتهم أميرهم بالرغم من أنه على الباطل.. «صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه. وصاحب أهل الشام يعصي الله ويطيعونه»^(٢).

وعندما يتعجب البعض متسائلين عن سبب هزيمة جيش الإمام الحسن عليه السلام أمام معاوية، ولجؤته إلى المهادنة، يقول عليه السلام: «أما والله ما ثننا عن قتال أهل الشام ذلة ولا قلة ولكن كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيب (خُلط) السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع وكنتم تتوجهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم وكنا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا»^(٣). فاختلاف الدوافع أدى إلى الهزيمة.

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩٧

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج ١، ص ١٨٨.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤٤، ص ٢١.

والإمام الحسين عليه السلام أيضا قد وضع الأمة في ذلك الوقت أمام مشكلتها وصرح لها بأن المشكلة هي «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون^(١)».

١ - الشيعة بين واقع الأقلية وثقافة الأقلية

يندر أن يخلو مجتمع من المجتمعات الحديثة من وجود تنوعات، عرقية كالزنج و ذوي الأصول الصينية في أمريكا وقومية كالأكراد والأمازيغ والبربر في البلاد العربية ودينية كالمسيحيين واليهود في المجتمعات الإسلامية، والمسلمين في البلاد الأوروبية ومذهبية كالشيع في بعض البلاد والتسنن في بعضها الآخر..).

قد تتقارب هذه التنوعات عددا وهو نادر، وقد تختلف، فتكون إحداها هي الأكثر من غيرها. فتكون منشأ لأن تعد واحدة هي الأكثرية والأخرى الأقلية بالنسبة لها.

وجود هذه التنوعات في المجتمعات الحديثة راجع في الغالب إلى تأسيسها كإطار واحد ذلك أن مكونات هذه المجتمعات قد ضُمت^(٢) ضمن عمل عسكري، أو سياسي، أو توافق اجتماعي، فلم تكن هناك قبيلة واحدة أو أسرة، وإنما مناطق، وتكوينات.. فوجود أقلية وأكثريّة في مجتمع من المجتمعات الحديثة ليس شيئا نسازا.

في تقرير لمنظمة اليونسكو بعنوان (التنوع الخلاق)^(٣) صدر أو اخر

(١) المصدر السابق ١٩٥.

(٢) لعل من أوضح الأمثلة على هذا التعدد ما يلاحظ في المجتمع العراقي، ففيه المسلمون والمسيحيون واليهود والصابئة واليزيديون، وفيه العرب والأكراد والتركمان والشبك، والكلدان والآشوريون.. وفي المسلمين الشيعة والسنة بمختلف مذاهبهم..

(٣) أعلنت منظمة اليونسكو تكريس عشر سنوات من أجل دراسة موضوع التنوع

التسعينات، ذكر وجود (١٠) آلاف أقلية عرقية ودينية وإثنية ومذهبية في العالم.. ورأى أن مثل هذا ينفع العالم بتنوعه.

وجود الأقليات والتنوعات ليس مصدر مشكلة، حتى يطالب البعض من الأكثرية بأن تذوب الأقليات في الأكثرية ثقافة وممارسات وشخصية ويحسب هؤلاء بأن ذلك كفيل بإنهاء المشكلة. بل بالعكس وجود الأقليات ليس مصدر مشكلة بل هو مصدر خلالية وثراء وجمال، إضافة إلى أنه لا يمكن إنهاء مشكلة الأقليات والتنوعات لو فرضناها مشكلة، بالذوبان.. إذ هو غير ممكن وغير صحيح. وقد دلت محاولات التدويب المختلفة سواء المبرجة ثقافياً أو العنيفة عسكرياً، على أن ذوبان هذه التنوعات والأقليات غير ممكن وإنما هو يتراجع عن السطح الظاهري، لكي يتعمق في داخل هذه الأقليات ويمد جذوره إلى الأسفل في حركة متحديّة لمحاولات التدويب.. والأمثلة إذا كثرت أغنانا ذلك عن ذكرها.

المشكلة حقيقة هي تعامل المجموعات^(١) القومية أو الدينية أو المذهبية الكبيرة مع تلك التي هي أقل منها بعين الاستعلاء، والإقصاء، من جهة.. وشعور المجموعات القليلة عدداً أنها يجب أن تكون أقل حظاً في الوطن أو في الحقوق والامتيازات. وأن ما يمارس تجاهها من استعلاء وإقصاء هو أمر طبيعي لقلتها!! واستفادة السلطات من اللعب

الثقافي، فيما أسمته «بالعقد الثقافي» من العام ١٩٩٧م/١٩٨٨م. ثم جاءت نتيجة ذلك الجهد المتواصل في مجلد كبير تحت عنوان: تنوعنا الخلاق، تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية. وقد تمت ترجمة هذا العمل إلى العربية تحت عنوان: (التنوع البشري الخلاق). وقد قام بالترجمة والإصدار المجلس الأعلى للثقافة في مصر ضمن المشروع القومي للترجمة. عن الوطن السعودية ٢/٤/٢٠٠٥م.

(١) اقترح البعض من الباحثين أن يستخدم مصطلح المجموعات القومية أو الدينية وأن تكون بديل لفظ الاقليات لما يحمل هذا اللفظ من شعور استعلائي أو اقصائي.

على هذا الحبل بين الطرفين!

قرآنيا: القلة ليست شتيمة:

سوف نرى أن القرآن الكريم والنصوص الدينية لا ترى القلة عيبا، ولا الكثرة ميزة، بل ربما كان العكس.. إذا اتبعت القلة الهدى، وحالفت الأكثرية الباطل. بل حتى الأكثرية لو كانت على الحق فهذا لا يعطيها الميزة لأنها أكثرية وإنما لأنها أهل الحق.

ولم تكن الأكثرية أيضا مقياسا للحق^(١).. فلا يمكن الاستدلال على كون جهة أهل الحق لأنهم أكثر، والجهة الأخرى بأنهم أهل باطل لأنهم أقل! ولا أن الكثرة يجب أن يأخذوا كل شيء لأنهم كثرة، والقلة يجرمون لأنهم أقل!.

بل ربما مدحت القلة وذمت الكثرة لبعض الجهات:

- ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾^(٢).

(١) بالطبع هذا لا يخالف ما نعتقده ويعتقده الكثيرون من أن أكثرية الآراء طريق من طرق إدارة المجتمع، وأن مشاورة الناس والأخذ بما تنتهي إليه آراؤهم سبيل قد اعتمد من قبل الدين بمقتضى: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ و ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أو ما روي من أنه لا تجتمع أمتي على باطل لو تم سندا.. فإننا ترتبط هذه الآيات بالأمور النظامية والسياسية في المجتمع دون أن ترتبط بالعقائد والأفكار. إذ لا يصح أن يقال أن عدالة الله صحيحة لأن أكثرية الآراء مع هذه الفكرة!. أو أن الدين المسيحي صحيح لأن أكثرية الناس في عالمنا هم مسيحيون!.

وكذلك لا يخالف ما تذهب إليه بعض المذاهب الإسلامية من أن الاجماع بمعنى اجتماع الامة أحد الأدلة إلى الحكم الشرعي، ويستندون في ذلك على ما رووه عن رسول الله ﷺ من أنه «لَا يَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ» فهو بالإضافة إلى المناقشات الموجودة في أدلته، وفي إمكان تحققه خارج عما نتحدث عنه، ففرق بين الأكثرية والكثرة وبين إجماع الأمة!.

(٢) المائدة: من الآية ٤٩.

- ﴿وَرَزَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَئِن سَأَلْتَهُمْ لَمَنْ هَٰؤُلَاءِ قَالُوا لَنَا وَإِلَّا فَاللَّهِ نَحْنُ بِالْأَقْلَىٰ﴾ (١).

وفي المقابل هناك مدح للأقلية، والقلة:

- ﴿وَمَا آءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٢).

- ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ (٣).

- ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤).

- ﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٥).

ونحن هنا لا نريد أن نثبت أن الأكثرية هي بالضرورة خاطئة، كلا، ولكن نقول: إن الأقلية ليس شتيمة، ولا يبرر ذلك أن تكون مضطهدة.

فما دامت القلة ليست مشكلة.. فما هي المشكلة؟

المشكلة هي ذات ثلاثة أضلاع:

ضلع منها يرتبط بالأكثرية، وهو اعتقادها بأن كثرة عددها يعطيها حق العلو على غيرها من مكونات المجتمع، ومصادرة حقوقه.

وهذا ما نراه في أكثر من بلد مسلم وغير مسلم، حيث تحاول فئة

(١) المائدة: ٦٢.

(٢) هود: من الآية ٤٠.

(٣) البقرة: من الآية ٢٤٩.

(٤) البقرة: من الآية ٢٤٩.

(٥) البقرة: من الآية ٢٤٦.

أن تثبت بأنها الأكثرية، وربما لجأت إلى التزوير في التعداد والإحصاء، وذلك لأنها تزعم أن اتصافها بصفة الأكثرية يعطيها حقاً مضاعفاً! والكلام ليس في الحق الكمي فهو طبيعي لو كان لجهة كثرة غالبية، ولكن الكلام في الحق النوعي.

وضلع منها يرتبط بالسلطات السياسية التي تحاول أن تستفيد من هذه الحالة، وتقمع الأقلية بالأكثرية، وتخيف الأكثرية من نهوض الأقلية وهكذا تصبح الملجأ للجميع والحكم وتسيطر عليهم بهذه الطريقة..

والضلع الثالث: يرتبط بالأقلية وهو ثقافتها التي تتكسر في الأجيال بفعل التعليم الخاص أو الأمثال الشعبية، أو اجترار تاريخ المعاناة والمشاكل، الذي تتحول أحداثه السلبية بالتدرج إلى مسلمات تفعل فعلها في عقل الأقليات. ولنتحدث عن هذا الضلع الثالث.

المشكلة: الثقافة الأقلوية^(١):

ماذا نعني بالثقافة؟ الثقافة: على الرغم من تعدد تعريفاتها إلا أنه يمكن تعريفها بأنها منظومة الأفكار التي تؤثر في تشكيل السلوك اليومي للإنسان، والخريطة الذهنية التي تحدد مسار الفرد في حياته اليومية.

ذلك أن حركة الإنسان في منطلقاته وأهدافه بل في طريقة حياته خاضعة في الغالب لثقافته. فصاحب الثقافة العبثية في العادة لا يتحرك في سلوكه وحياته بنحو جدي وهادف. وغير المؤمن يندر أن يُحركه في أعماله قضايا الثواب والعقاب والموعد الأخرى. وربما يكون لهذا السبب وجدنا موقع الأصول الاعتقادية وهي التي تشكل رؤية

(١) سوف نستفيد في هذا المصطلح من الأخ الدكتور توفيق السيف.

الإنسان لحياته من حيث المبدأ والمنتهى وما بينهما من السعي، أكبر أهمية من موقع الفروع العملية، والعبادات مع أهميتها والفقهاء. ووجدنا أيضا أن التفاضل في بعض الأحاديث قد رتب على أساس المعرفة^(١)، ويشير إلى موقع الثقافة (والمعرفة) كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام لكميل: « مَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَ أَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَةٍ »^(٢) مشيرا إلى أثر الثقافة في حركة الإنسان الحياتية.

وتختلف هذه عن العلم والتخصص فمن الممكن أن ترى متخصصين في مجال واحد كالطب وبمستوى واحد ولكن اختلاف حركتهما في المجتمع كبير وذلك راجع إلى ثقافتهما. كما يمكن أن يتأثر بنمط ثقافي واحد أفراد متعددون المستويات العلمية التخصصية.

فالشعور الأقبلاوي والمنعزل يمكن أن يؤثر في حامل الدكتوراه كما يؤثر في الأمي. وفي عالم الدين.. لذلك قد تجد مجتمعا بكامله يعيش ثقافة معينة مع اختلاف مستوياته التخصصية.

والثقافة الأقبلاوية تعني أن يعيش الفرد أو المجتمع وهو يتمثل حالة دائمة، هي أنه (من الأقلية الفلانية)، يعيش هذا الشعور في داخل ذاته، وفي علاقاته مع الآخرين، وفي تعاطيه مع حقوقه، وفي نظره إلى وطنه وهكذا.

(١) فعن الرسول ﷺ: « أَفْضَلُكُمْ إِيمَانًا أَفْضَلُكُمْ مَعْرِفَةً »، وعن الإمام الصادق عليه السلام: « .. إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ وَبَعْضُكُمْ أَكْثَرُ صَلَاةً مِنْ بَعْضٍ وَبَعْضُكُمْ أَكْثَرُ حَجًّا مِنْ بَعْضٍ وَبَعْضُكُمْ أَكْثَرُ صِدْقَةً مِنْ بَعْضٍ وَبَعْضُكُمْ أَكْثَرُ صِيَامًا مِنْ بَعْضٍ وَأَفْضَلُكُمْ مَعْرِفَةً » راجع ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٨٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٢٦٨.

أبعاد هذه المشكلة:

١- الشعور تجاه الذات: ينتج عن الثقافة الأقلوية هضم للذات وسماع للآخرين بظلمها، فصاحب هذه الثقافة يقبل بالحد الأدنى من حقوقه، ويتعامل مع غاصبي حقه على أن ذلك شيء طبيعي.

والغريب أننا قد نلاحظ أن الشيعة في أماكنهم فيها أكثرية عديدة لكن ثقافتهم أقلوية، ولو أعطي هؤلاء جزءاً من حقوقهم لعد ذلك مكرومة! مثلاً لو تعامل مع الشخص رئيسه في العمل بنحو منصف ولم يححف بحقه، في راتبه أو ترفياته، أو غير ذلك فإنه يعتبر ذلك نعمة استثنائية.. مع أن ذلك الرئيس إنما يؤدي وظيفته!

ينتج عنه أيضاً أنه لا يطالب بحقه العام السياسي، بل حتى الشخصي مثل الترقية في العمل، فلو فصل أو أُبعد لا يرى أن من حقه الاحتجاج، بل إنه ينسحب بهدوء حتى لا تتضاعف المشكلة عليه^(١)! وربما يكون هذا ناتجاً عن قصة أو قصص حدث فيها أن انقلب المظلوم ظالماً والظالم مظلوماً على أثر قضاء طائفي.. لكن تلك القصص قد تحولت إلى حقائق وقواعد في وعي المجتمع وكأنها سنن لا تقبل التغيير، ولا يؤثر فيها الزمان. ويتم تناقل تلك القصص حيث تؤثر في الأجيال وتكرس فيهم الحالة التي كانت لدى أوائهم!!.

(١) وهذا يذكر بقصة جحا الذي هرب من الجمال سارق المتاع لكيلا يطالب جحا بأجرة المتاع المسروق!! فقد ذكروا أن جحا ذهب إلى السوق لكي يشتري لأهله حوائج ولما كانت كثيرة فقد استأجر حملاً يحملها في مقابل عدة دراهم، غير أن الجمال استفاد من فرصة ازدحام السوق وهرب بالحوائج التي كانت تساوي دنائره، ولما وصل جحا إلى منزله والتفت إلى الخلف ولم يجد الجمال رجع إلى السوق ليعيد شراء تلك الحوائج، وفي هذه الأثناء رأى الجمال السارق من بعيد، فاختم جحا منه، لكيلا يطالبه الجمال بأجرة الجمال!! بدلاً من أن يقبض جحا عليه لكي يأخذ منه تلك الحوائج!!.

٢- النظر إلى الحياة مع الآخرين لا على أساس الشراكة في المكان والمصالح والخيرات، وإنما شعور القدر المفروض عليه، وأنه لا بد أن يتكيف مع هذا القدر المفروض! كأنه نوع من الاكتئاب السياسي. ويتبع عن كل ذلك حالة الانكماش والانعزال، طمعا في المحافظة على الذات، ويحدث شعور الغربة في الوطن.

٣- الشعور تجاه الغير، بأنهم كتلة واحدة وأنهم يعملون ضده وضد جماعته! فيستشعر الضعف أكثر.. فالغرب الكافر ضده، وسائر الفرق عليه، والوضع السياسي يتعقبه.. الخ، بينما حقيقة الأمر أن العالم هو عالم المصالح، متى التقت مصلحة هذا الطرف مع ذلك الطرف تحالفا.

وتتضخم عند هؤلاء نظرية المؤامرة.. وأن الأحداث تجري على أساس قد أعد سلفا من قبل فئات معينة، وما يتم من تفاصيل في السياسة والمجتمع إنما هو على أساس برنامج قام به الغير.. فبعض الإسلاميين يرى أن البريطانيين هم الذي برمجوا حركة السياسة منذ عهد بعيد وأن ما يجري من ثورة أو هدوء، ومن حركة أو سكون هو على أساس ذلك المخطط. والبعض الآخر يرى أن الامريكان هم الذي برمجوا للعالم ما يحدث فيه، حتى تفجير أبراجهم في سبتمبر إنما هو بفعلهم وبرنامجهم، وهكذا.

بل إن البعض يوظف التاريخ لهذه الجهة، وأن التآمر تم على الشيعة من يوم السقيفة! ولا يزال مستمرا منذ ذلك اليوم وبفعل ذلك التخطيط!! والبعض يقنع بما هو جديد، فهناك بروتوكولات لحكام صهيون والعالم يسير على طبقها!! وهناك حكومة العالم الخفية! وما عدا

ذلك فهم (أحجار على رقعة الشطرنج!!). وهذا كله ناشيء من الإيمان
بنظرية المؤامرة.

بينما القضية لا ترتبط بهذا الجانب وإنما القضية تلاقي مصالح
الجماعات، فحين التقت مصلحة الأمريكيين والأوروبيين في البوسنة
والهرسك مع المسلمين، تحالفوا ضد المسيحيين الصرب، ودخلوا حرباً
ضدهم وساعدوا المسلمين في إقامة جمهورية خاصة بهم.. وهكذا..
كيف نتجاوز هذه الثقافة، وهذا الشعور؟.

١- إحلل ثقافة المواطنة والاشتراك على هذا الأساس مع باقي
المكونات الاجتماعية محل التمايز على أساس العدد أو الدين أو المذهب.
ولا نعني بذلك أن تنتكر الأقليات لدينها أو مذهبها أو وجودها الخاص
فهذا غير ممكن وغير صحيح. وإنما نقصد بذلك أن لا يكون ذلك هو
محدد العلاقة بين هذه الفئات. بحيث نتعارف مع شريكنا في المذهب أو
الدين أو القومية ونتناكر ونقاطع من لم يكن كذلك وإن كان جار بيتنا،
وشريك وطننا.

إن المطلوب هو أن تحتفظ هذه الفئات بعنوانها الخاص وثقافتها،
وتتعامل مع سائر الفئات والمكونات الاجتماعية على أساس الشراكة
في الوطن، وأنهم في سفينة واحدة يتقاسمون فيها الخير، ويجري عليهم
جميعاً نفس الخطر!.

المطلوب هو أن يشعر الجميع بأن هذا الوطن وطنهم، وأن
نسبتهم إلى مركزه هي نفس النسبة، وأن لا أحد أقرب منهم إلى المركز
من الآخر بسبب أن مذهبهم مختلف أو لغته مغايرة أو دينه.

٢- الالتفات إلى ما تملكه الأقليات من ميزة ثقافية والعمل على تكريسها والانطلاق منها لخدمة المجتمع والوطن ككل، وذلك أن هناك أقليات لا تمتلك ثقافة تستطيع عرضها، وهي بهذا لا تستطيع أن تمارس على مستوى العالم دورا يتجاوز حجمها. بينما تمتلك بعض الأقليات كالشيعة مثلا ثقافة رائدة تستطيع أن تقدم الكثير للعالم.. ولكن المشكلة في إيصال هذه الثقافة للعالم..

مثال للمقارنة: بلغ عدد الكتب المؤلفة عن هتلر القائد الألماني المعروف من سنة ١٩٤٥م إلى عام ٢٠٠٠م، (٥٥٠٠٠) خمسة وخمسين ألف كتاب!! بمعدل ١٠٠٠ كتاب في كل سنة كما نقلت ذلك جريدة الوفاق.. هل كتبنا نحن المسلمين عن رسول الله هذا العدد؟ أو عن أمير المؤمنين؟ أو عن نهضة الحسين^(١).

إن قيام الأقليات بعرض ثقافتها من شأنه أن يثري الجو الفكري، وأن يصنع حراكا طيبا يمكن المجتمع من انتخاب الفكر الأفضل.

٣- الاهتمام بالتفوق النوعي: فلا ينبغي الاكتفاء بنصف الأشياء.. والتوقف، في المجال الطبي، الهندسي، التقني، التجاري، إذا قال ذلك الشاعر (لنا الصدر دون العالمين أو القبر) مفتخرا، فينبغي أن يقول الواحد منا ذلك من موقع النشاط والهمة. وهذا ما صنعته بعض الأقليات فقد ذكروا أن الأمريكيين من أصل آسيوي كانت نسبتهم في أمريكا ٢٪ فقط.. لكن رؤساءهم قرروا أن يكون لهم دور كبير في الساحة الأمريكية، فخططوا الكي يتفوقوا في التعليم والبحث العلمي، فأصبحوا يسيطرون

(١) ذكر الباحث الدكتور عبد الجبار الرفاعي أن عدد ما كتب عن الأئمة الاثني عشر جميعهم، لا يتجاوز الخمسة عشر ألف كتاب.

الآن على ٢٠٪ من التعليم العالي ومراكز البحوث العلمية!

وهذا يعني أنهم قد تحولوا نوعيا إلى عشرة أضعاف عددهم، ومن المثير للانتباه أن نفس هذه النسبة قد طلبها القرآن الكريم من المسلمين، أن يتجاوزوا قتلهم العددية بتفوقهم النوعي حتى يصبح الواحد منهم بمقدار عشرة من غيرهم: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾^(١).

٢- تضخم الشعور بالمظلومية وآثاره السلبية:

وقع ظلم كبير على أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على مدى الزمان وصفحات التاريخ خير شاهدا على ذلك وتفنتت الدولة الأموية والعباسية بتلك الممارسات على الأئمة أولا وشيعتهم ثانيا ولم يقتصر الأمر على هاتين الدولتين وإنما استمر حتى الوقت الحاضر وإن اختلفت النسبة وتغيرت الأساليب.

من الناحية الرسمية كان معاوية بن أبي سفيان هو السابق إلى (تشريع) ذلك الظلم و (تقنينه) بحيث صدر في عهده عدد من المراسيم التي جعلت تلك الممارسات الظالمة سياسة متبعة، لذلك فقد منع عطاء كثير من الشيعة من بيت المال بل محى أسماءهم من الديوان^(٢).

(١) الأنفال: ٦٥.

(٢) الدرجات الرفيعة، السيد علي ابن معصوم المدني ص ٥: روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي يوسف المدايني في كتاب (الأحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئا «من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منير يلعنون عليا» ويبرؤن منه. ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل

عليهم زياد بن سمية وضم إليها البصرة، وكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدبر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم من العراق، فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: أن لا يميزوا لأحد من شيعة علي عليه السلام وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل بيته والذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم واكتبوا إلى بكل ما يروى كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطايع، ويفضيه في العرب منهم والموالي فكثرت ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد بخبر مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حينما ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي المكاتب، فعملوا صبيانهم وعلمائهم من ذلك الكثير الواسع حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله تعالى، ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة انه يجب عليا «أهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة أخرى، من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره. فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة، حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه بسره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يجده حتى يأخذ عليه الإيوان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء القضاة والولاة، وكان أعظم ذلك بلاء القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضبايع، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها. ولم يزل كذلك حتى مات الحسين بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا خائف على دمه أو طريد في الأرض. ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام

وتضاعف الأمر في عهد العباسيين حتى لقد ترحم الناس على
العهد الأموي لعنف ما لقوه أيام بني العباس ومن جاء بعدهم حتى
قال قائلهم:

تالله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس
ولا تزال صور من المظلومية المستمرة، تتمثل في إقصاء مذهب أهل
البيت عليهم السلام عن الحياة العامة والتنكر له، وإبعاد أتباعه عن المواقع المهمة
في بلادهم.. مما لا يخفى على المتأمل. بل وصل الأمر في حالات كثيرة إلى
أن يكون التشيع وصمة تجعل صاحبها في ضيق في معيشتة وعمله..

وبالرغم من أن المظالم التي وقعت على الأجيال المتأخرة لا
تقاس لقلتها بما وقع على الأجيال المتقدمة، إلا أن ذلك التاريخ المفعم
بالعداء لشيعة أهل البيت، وهذا الحاضر المتجهم، صنع شعورا متضخما
بالمظلومية والاضطهاد، وتحول مع الأسف إلى منهج تفكير، وطريقة،
ورؤية لدى بعض أبناء مجتمعنا الشيعي، ووصل شعوره بالاضطهاد
والمظلومية إلى حد أن البعض يفكر بأنه قدر مكتوب عليه ولا مجال
للفكاك منه. وأصبح هذا الجيل يستحضر الماضي في الحاضر، ويعيد
إنتاج هذا الشعور بالمظلومية. بل أصبح يألف هذا الشعور و (يأنس)
به، بحيث لو افتقده لشعر بالوحشة!!.

وولى عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه
أهل النسك والصلاح والذين يبغضون عليا عليه السلام ويوالون أعداءه فأكثروا من الرواية
في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغضب من علي عليه السلام وعيبه والظعن فيه
والشنان له حتى أن إنسانا وقف للحجاج، ويقال انه جد الأصمعي عبد الملك بن قريب
فصاح به: أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني عليا وإني فقير بائس وإنما إلى صلة الأمير
محتاج فتضحك له الحجاج وقال: للطف ما توسلت به وقد وليتك موضع كذا.

ومكمن الخطورة هو هنا، أي حين يتحول هذا الشعور إلى فلسفة في الحياة، وإلى رؤية لأحداثها وثقافة يُنظر بواسطتها..

فإذا سألت هؤلاء عن سر تأخرهم أجاوبك أن الشيعة مكتوب عليهم ذلك!! والشاهد على هذا أنهم ومنذ الأيام الأولى لوفاة رسول الله ﷺ وإلى يومك هذا يُقاسون المعاناة!!.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن المظلومية أمر واقع لا ينكره منصف، سواء في التاريخ أو الحاضر، وعدم الشعور بها يعني إما عدم العلم بالتفاصيل، أو موت الشعور!! ولكن حديثنا في نقد حالة تضخم ذلك الشعور وتحوله إلى ثقافة معيقة، وفلسفة سوداء، تنتج آثارا سلبية في واقع شيعة أهل البيت كما سيأتي.

إن ما نريد الإشارة إليه أن هذا الشعور المتضخم غير صحيح، والثقافة في هذا المعنى ثقافة خاطئة لا يسندها القرآن ولا تُفهم من الروايات.

بل يُفهم من القرآن والروايات خلاف هذه الثقافة الذي يقرر أنه ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

بينما جيل التخلف يقرر أن الذلة هي المفروضة على المؤمنين!!.

القرآن يصرح بأنه: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وهذه الثقافة تقول أن شيعة أهل البيت هم الأذلون والأقلون وهم الذين كُتب عليهم قدر التخلف وسلب الحقوق! أليس هذا فهما مخالفا لصريح القرآن؟ والفرض أن هؤلاء باتباعهم لمنهج أهل البيت ﷺ هم من أوضح مصاديق المؤمنين.

(١) سورة المنافقون آية ٨.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٣٩.

الآثار السلبية للفكرة الخاطئة

من الأفكار الخاطئة ما يقتصر أثرها عند حدود (خطأ الفكرة) نظريا من دون أن يؤثر ذلك كثيرا على حياة صاحبها أو مسيرته، ومنها ما يولد آثارا خطيرة على سلوك الإنسان وحياته الاجتماعية، بل على المجتمع ككل.. وتضخم الشعور بالمظلومية هو من تلك الحالات، التي تنتج ثقافة خاطئة وممارسة ناقصة وتستتبع آثارا سيئة..

فمن هذه الآثار:

أولاً: اليأس: إذا ترسخت هذه الفكرة في شخص فانه سيبقى يراوح مكانه ولا يتقدم بعد أن تملكه الشعور بالمظلومية فأصبح اليأس هو الذي يسيطر عليه ويرى أن هذا الوضع كتبته الأقدار على جبينه لأنه موال لأهل البيت. ومثل ما قدر الله على الأئمة ذلك الحيف والظلم!! فإنه مقدر على شيعتهم أيضا فهل يستطيع أن يغير القدر!! هذا هو اليأس.. وإذا دب في مجتمع فاقراً عليه الفاتحة.

فالإنسان إنما يتحرك في الحياة بطاقة الأمل وإذا نفذت هذه الطاقة فسوف يبقى الإنسان خاملاً.. هذا على مستوى الفرد فكيف إذا عشن هذا الشعور في مجتمع بكامله؟.

في هذا المجال تجد البعض يفكر بهذا النحو المغلوط: ما الداعي إلى أن يتفوق في دراسته أو يبدع في عمله إذا كان سيواجه بالرفض أو التنكر من قبل مسؤولية؟ ولماذا يجهد نفسه إذا كانت نتيجته الإبعاد كنتيجة غيره؟.

بينما الواقع يقدر أن قوانين الكسب والجزاء التي يتحدث عنها

القرآن، هي القاعدة العامة في الحياة، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(١). و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾^(٢).

وهي وإن تأخرت على أثر وجود مانع هنا أو هناك، لكن هذه الموانع لا تتحول إلى قاعدة، ولا يكون الاستثناء هو القانون!! فإن الموانع مؤقتة، والقاعدة دائمة، الاستثناء له ظروف محدودة زمانا ومكانا والقانون مستمر ومضطرد.

ثانياً: الإحساس بالعجز: من آثار هذه المشكلة وهذا الشعور المتعاضم بالمظلومية: العجز والنقص والضعف. فالمرء الذي يعيش تلك الحالة، يعيش الضعف في داخله والعجز في نفسه، ويقابل الحياة والأمر بنفسية العاجز الضعيف أمامها.

إذا أراد أن يطالب بحقه الطبيعي فإنه يذهب وفي نفسه أنه لن يحصل عليه، فيضعف موقف ذاته، ويقضي على عوامل التأثير عنده، ويستسلم مع أول رفض يواجهه به، لأنه يرى نفسه حلقة من حلقات المظلومية التي بدأت مع أئمتة ومع تاريخه!!.

بل إنه بهذا الشعور المسيطر عليه يعين على نفسه، فينهزم أمام خصمه نفسياً.

ومثال ذلك ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سُئل عن السر الذي يجعله يهزم كل من يبرز إليه أجاب لأن غيري يعينني على نفسه، وعندما سُئل كيف أجاب ما برزت إلى أحد إلا ويعتقد أنني قاتله وأنا

(١) سورة الزلزلة آية ٧.

(٢) سورة الرعد آية ١١.

واثق أنني أقتله^(١).

... هذا الكلام يعني أن خصوم أمير المؤمنين يكونون منهزمين نفسياً فيضعفون. وفي المقابل توجد الثقة عند أمير المؤمنين والتوكل على الله فينتصر ويتغلب على خصومه ولذا يجب علينا أن لا ندع هذا الشعور يتسرب إلينا فننهزم نفسياً.

ثالثاً: تبرير الفشل: مع تضخم الشعور بالظلمية تتمهد حالة تُبرر التقاعس والكسل.. ويصبح ذلك بمثابة (الشعاعة) التي يُعلق عليها الكثيرون فشلهم، ويُرجعون إليها تراجعهم. فهم بدلاً من أن يتوجهوا إلى نقاط الضعف عندهم، مثلما هي طريقة القرآن حين يقوم بتوجيه اللوم إلى ذات الإنسان قائلاً: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۗ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۗ﴾^(٢). ويقول: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَيْنَا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ﴾^(٣).

فإن هؤلاء بدلاً من ذلك، يقومون بلوم (الآخرين) الذين هم السبب في فشلهم، وتراجعهم!! ففي المدرسة بعض الطلاب يقصرون في مذاكرتهم، ويغيبون في دروسهم، ويلعبون أيام امتحاناتهم حتى إذا جاء الامتحان، وفشلوا فيه، رموا القضية على المدرس الطائفي السيء، أو المدير المعادي لهم أو غير ذلك من التبريرات التي يعلمون هم قبل غيرهم أنها غير صحيحة!!.

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج ٤، ص ٧٥: «وَقِيلَ لَهُ يَا أَيُّ شَيْءٍ غَلَبَتْ الْأَقْرَانَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا لَقِيتُ رَجُلًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَىٰ نَفْسِهِ» (يؤمي بذلك إلى تمكن هيبته في القلوب).

(٢) سورة القيامة، آية: ١٤ / ١٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٦٥.

وهكذا بدلا من أن يفكر التاجر في التبكير لعمله والتفكير لنشاطه التجاري يظل نائما إلى فترات متأخرة، حتى إذا ضاعت عليه الفرص، وتوقف نمو تجارته أنحى باللائمة على الآخرين!!.

ونحن لا نريد أن ننفي الأمر بالجملة، فهو حاصل في بعض الحالات، ولكن الكثير منها ليس كذلك ولكن التظلم الزائد عن الحد، وتضخم الشعور بالمظلومية، هو في مثل هذه الحالة غير صحيح.

إن الظلم الذي وقع على أهل البيت والشيعه السابقين أكثر بكثير من الظلم الذي يقع على الشيعة في العالم اليوم، ولكن تضخم الشعور بالمظلومية عندنا أكثر منهم بكثير بل على العكس هم حولوا ذلك الشعور بالمظالم إلى إنجازات بينما نحن أصبحنا نكرس هذا الشعور لكي نجعله تبريرا.

وينبغي على الإنسان أن يضع هذه المشكلة في حدودها فتعرض الشيعة للظلم طوال تاريخهم صحيح ولكن هل الشيعة وحدهم تعرضوا إلى الظلم؟.

الفلسطينيون ألم يتعرضوا ولا يزالون إلى ظلم؟ والأكراد ألم يتعرضوا إلى ظلم؟ والسود في أمريكا وغيرهم..

إذا تعرض إنسان إلى مجموعة من المضايقات أو الظلم فلا ينبغي أن يجعلها حالة تبريرية للوضع السيء الذي هو فيه فيؤثر ذلك سلبا في ثقافته وفي سلوكه وفي عمله وسائر نشاطاته في المجتمع.

كيف نحول هذا الشعور إلى قوة دافعة؟.

إن من المهم مع وجود هذا الشعور أن يتحول إلى قوة دافعة،

لتغيير وضع المظلومية القائم، إلى وضع متعادل منتج.. وذلك عبر ما يلي:

١- العلم بأن جزءاً من المظلومية والاضطهاد الذي تتعرض له الشعوب هو بسبب الضعف سواء العلمي أو الاقتصادي أو غيره، فإذا قام هذا المجتمع ببناء القوة الذاتية العلمية والعملية فإنه لا يمكن لأحد أن يستضعفه. وإذا كان الأمر هكذا فيجب أن يعمل. مثلما قال بعضهم: ليست إسرائيل قوية وإنما قوتها بضعفنا.

٢- نشر ثقافة الإنجاز. والمكاسب التي تحققت وتحقق. فإنه يوجد في المجتمع نماذج كثيرة جداً وأمثلة عديدة للنجاح والتفوق، سواء في الميادين العلمية، أو العملية، وقد حصلوا على درجات عالية، سمعت من أحد الإخوة وهو يتحدث عن صديق له عنده إحدى عشر براءة اختراع لأجهزة، ويوجد أشخاص حياتهم قصة نجاح وتفوق، فمن الضروري أن تنشر هذه الثقافة، وهذه النماذج حتى يتبين أن معزوفة الوتر الحزين المبالغ فيه، استثناء: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾^(١).

٣- تنمية الشعور بالتحدي للظروف القائمة: فإن الاستجابة للتحدي ومقاومته هي التي تصنع الحضارات، وتنمي المجتمعات، ولقد بنى أرنولد توينبي هذه النظرية من خلال ملاحظته لكثير من المجتمعات البشرية، وأن المجتمع الذي لا يتعرض لتحدي، ينتهي بالتدريج، بينما التحديات التي تواجهها المجتمعات، وتستجيب لها بمقدار من الإبداع والصمود، تصنع لها النصر.

مع وجود هذه المظالم التاريخية إلا أن الوضع الشيعي بقي متحدياً

(١) سورة النجم، آية: ٣٩.

وهذا يعني أن التحدي للظروف يصنع الانتصارات.

خذ الشعب الفلسطيني مثالا فإن هذا الشعب يتحدى ظروف الظلم والقهر والتجهيل التي فرضت عليه، ويقاومها، وسينتصر بإذن الله، ومع هذا التحدي ليس غريبا أن نجد أن نسبة^(١)، حملة الشهادات العليا من الفلسطينيين أعلى من نسبتها لدى الإسرائيليين، مع توفر كافة الظروف المساعدة لدى هؤلاء، وانعدامها لدى أولئك.

وأما الحديث عن مظلومية أهل البيت عليهم السلام فهو أكثر دلالة على خطأ تضخم المظلومية والشعور بها، فإنه مع تسليمنا بالمظلومية التي حلت على أهل البيت عليهم السلام وغيرها لا يقاس بها لعظمتها إلا أننا لاحظنا الإنجازات التي حققوها، والأهداف التي تبعوها، في مقابل المظلومية نجد أن الإنجازات أضعاف تلك المظلومية التي حلت عليهم. لقد كان غرض الظالمين لأهل البيت أن لا يصرخ بالشهادتين وقت الأذان مناد، وأن لا يعلو ذكر محمد صلى الله عليه وآله على المنابر والمنابر، ولقد تحمل الأئمة ما تحملوا من أجل أن تبقى الشهادتان، ويعلو نداء الدين.. وقد حصل ما أرادوه، وتحقق الذي قصدوه.

وها نحن نرى النتيجة أن الذي انتصر وحقق إنجازاته وأهدافه هم الأئمة دون أعدائهم.

لقد صدق الشاعر في هذا المعنى حينما قال:

ظنوا بأن قتل الحسين يزيدهم لكنما قتل الحسين يزيدنا

(١) ذكرت بعض الإحصائيات أنه من كل ألف شخص يوجد ١٨ من حملة الشهادات العليا من الفلسطينيين في مقابل ١٤ لكل إسرائيلي. ويعد الفلسطينيون من أوائل الذين أسسوا الجامعات الأهلية مثل جامعة النجاح و بيرزيت..

٣- المثالية (غير الواقعية) في العمل السياسي:

قال تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

المواصفات التي اشترطها شيعة أهل البيت عليهم السلام في من يتولى زمام الأمور كانت عالية جدا، وهي لا تتناسب إلا مع المعصومين عليهم السلام، وربما كان ذلك ضروريا لوقف حالة الانهيار في المقاييس والتي بدأت في الأمة، ونتج عنها أن صار من يحمل النسب الأموي أو العباسي، ويكون ابنا للحاكم السابق أو أخا، فهو مؤهل لكي يكون خليفة النبي، وأمير المؤمنين!!.

ولعلك تدرك معنى كلام الإمام الحسين عليه السلام: «وَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتْ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدَ»^(٢).

لقد كان موقف أهل البيت عليهم السلام حازما في ما يرتبط بالقيادة والمترسبين، فإن كان صالحا ومن (أولي الأمر) فلا بد من طاعته وإتباعه، بل لقد قرن الله طاعته، بطاعة الله وطاعة رسوله.. وفي المقابل كانوا حربا على المتسلطين من غير وجه حق. وكانت نظرية الإمامة عند الشيعة بمثابة الحصن الواقي من الانهيار، فد (علي ولي الله) يكون شعارهم، ومثالهم. وهو مقياسهم في الحكم والقيادة، وباقي الأئمة المعصومين عليهم السلام هم تعقيب صلاتهم.

نقول هذا في الوقت الذي كان فيه غيرهم، يخضع للواقع تماما،

(١) سورة التغاين آية ١٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٦.

بل يغير نظريته في الإمامة^(١) و (يطورها) بحسب الحاجة والطلب إلى أن وصلنا اليوم إلى حديث أنه لم يكن هناك طريقة دينية أو إسلامية في الحكم.. يعني انتقلت النظرية عند غير الشيعة، من إمام يبايعه جمع من أهل الحل والعقد إلى إمام منصوب من السابق، إلى ثالث يرجحه رأي واحد في قضية الشورى، إلى حكم الفرد المتغلب أيام الأمويين، إلى كونه ابن الأسرة الفلانية أيام العباسيين، وهكذا.. إلى أيامنا الحاضرة وأنت ترى ما فيها.

هذا الحرص على الأفضل والأكمل في مسألة القيادة العامة، والإمامة الكبرى، بمقدار ما كان حسنا في منع انهيار المقاييس عند الشيعة، فإن البعض قد فهمه بصورة غير متكاملة، فطفق يطالب بتلك المقاييس في كل مكان، بدءا من صلاة الجماعة، إلى القائد السياسي والاجتماعي المرحلي.

وهذا هو الذي أوقع الشيعة في كثير من المناطق، في مشاكل:

(١) المستشار عبد الجواد ياسين في مقابلة مع الشرق الأوسط ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٣م: «كما أشرت في كتابي فقد ظل باب النظرية السنية في الخلافة مفتوحاً على الدوام حتى منتصف القرن الرابع على الأقل حيث أبدت النظرية قدراً مذهباً من المرونة استطاعت من خلاله أن تستوعب داخل إطارها دولة الراشدين الشورية، ودولة الأمويين الوراثية الاستبدادية، ودولة العباسيين الأولى بطابعها الدموي، ودولة العباسيين الثانية بحكوماتها السلطانية التي فرغت (الخلافة) من مضمونها الحقيقي. وفي سبيل ذلك فقد استطاعت النظرية السنية وهي تتلوى مع التاريخ أن تقر مبدأ الاختيار الطوعي من الأمة للحاكم، ثم تقبل من أبي بكر مبدأ (الاستخلاف الفردي)، ومن عمر (الاستخلاف الجماعي)، وتقبل من تجربة عثمان مبدأ (تأييد الولاية)، وتقبل من الأمويين مبدأ (توريث السلطة) أو (الأسرة المالكة)، وتقر من خلال الواقع العباسي مبدأ (ولاية المتغلب) من السلاطين والوزراء، حتى إذا ما صار الحاكم في نهاية الأمر ضرباً من السلطة الدينية ذات طابع رمزي فاتيكاني، فإن النظرية فيما يبدو لم تبد اعتراضاً».

- فمن البداية كما ذكرنا، وجدنا أن الصور النمطية التي يراها الكثير من الشيعة للعلماء، هي صور في غاية الرفعة والعلو وهي صور الأئمة عليهم السلام، ويطلبونها مع علمهم بأنها غير ممكنة.. صورة إمام الجماعة في ذهنه هي صورة المقدس الأردبيلي أو السيد بحر العلوم! وصورة القائد الاجتماعي هي صورة الإمام المعصوم أو من هو دونه بقليل!!
بالطبع هذا الأمر عندما يكون في حدود الجوانب العلمية والأخلاقية، فإنه يكون نافعا إذ يشحذ العزيمة عند الجميع حتى يصلوا إلى ذلك المستوى العالي.

ولكن عندما يتم تحكيمه في أمر العمل الاجتماعي والإدارة السياسية كشرط واجب في من يتصدى للعمل ذاك، تكون النتيجة أن لا يوجد هذا القائد، ويترتب عليه أن يبقى المجتمع الشيعي عندنا في شكوى دائمة من انعدام القيادات. إذ أن المواصفات العالية التي يتم اشتراطها في أبسط الأمور تجعل القضية خاضعة لقاعدة (كلما كثرت القيود قل الموجود).

الصحيح هو أن ينظر إلى كل مجال، وما يتطلبه من مواصفات ضرورية، وتبقى باقي الصفات في دائرة الكمال والاستحباب.

- من نتائج هذه المشكلة، أن المجتمع هذا لا يستطيع أن يضع خططا تدريجية لأهدافه، ولذلك لا يستطيع استثمار الظروف والمتغيرات.

أما أنه لا يستطيع أن يضع تلك الخطط التدريجية فلأنه لا يرى الأهداف البسيطة أهلا لأن يطالب بها، بل هو يعيش على عقلية (إما كله أو خله) كما هو في المأثور الشعبي و(لنا الصدر دون العالمين أو القبر).. وإذا لم يرها تستحق المطالبة ولا النضال من أجلها فكيف يضع خططا تدريجية

لها؟.

ولتوضيح هذه الفكرة يقال:

أن هناك رأيين فيما يرتبط بالمطالبة بالحقوق الاجتماعية:

أولهما: يقول أنه إما أن يعطى الإنسان حقه كاملاً، فهذا هو الذي يستحق أن يُعمل من أجله وأن يقام له ويقعد!! وأما ما دون ذلك من عطاءات بسيطة (يُتصدق) بها عليه، فهذا لا يستحق شيئاً ولا ينبغي أن ينشغل المجتمع به.

وثانيهما: ينطلق من نظرة واقعية، أن على الفرد أو المجموعة أن يحافظوا على ما لديهم، وأن يطالبوا بما هو ممكن من الحقوق، وأن يسعوا لما يرجونه، من أهدافهم العالية.. وكل شيء يحصلون عليه هو إنجاز، ينضم إلى غيره حتى تجتمع هذه الانجازات الصغيرة، فتشكل إنجازاً عظيماً فالقرآن يقول: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(١) وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الميسور لا يسقط بالمعسور» و «ما لا يدرك كله لا يترك كله».. إلى غير ذلك مما ورد في النصوص الدينية، التي يستفاد منها هذا الجانب.

وربما يُنطلق في تأييد الرأي الأول من واقعة كربلاء ونهضة الإمام الحسين عليه السلام حيث أنه رفض الحكم الأموي جملة وتفصيلاً، ولم يقبل أن يعطى الدنيا من نفسه. وحيث أن الإمام الحسين عليه السلام هو القدوة الحاضرة، لا سيما مع هذا التركيز الموجود على شخصيته الطاهرة في مناسبة محرم الحرام بل في غيرها من المناسبات، فإن ذلك يزيد من حضور فكرة التغيير الجذري، وعدم التفاعل مع المطالبات التدريجية والجزئية^(٢).

(١) سورة التغابن آية ١٦.

(٢) هذا إضافة إلى عدد من التجارب غير المنتجة للعاملين مع قسم من الحكومات التي

بينما يرى أتباع الرأي الثاني أن سيرة الأئمة عليهم السلام هي خير شاهد على فكرتهم، مع ملاحظة استثناء فترة الإمام الحسين عليه السلام، وما يفترض من طريقة الإمام الحجة بن الحسن (عجل الله فرجه)، نظرا لخصوصية في الحاليتين، حيث أن الحالة التي عاصرها الإمام الحسين في عهد يزيد، كانت قد تضيقت عنده الخيارات، إلى طريقين لا ثالث لهما كما أخبر هو عليه السلام فقال: «أَلَا إِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ السَّلَّةِ وَالذَّلَّةِ وَهَيْهَاتَ مَنَا الذَّلَّةَ»^(١). فلم يكن هناك إذن طريق ثالث، وأما حالة الإمام صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن، فإنها لما كانت عملية ثورية عالمية تملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا، فإن لها ظروفها الخاصة بها والتي لا يمكن البناء على مشابقتها للأوضاع القائمة.

وأما بالنسبة لسائر الأئمة عليهم السلام فإن حياتهم قائمة على أساس المطالبة بما يمكن تحقيقه والعمل على ذلك، والاستفادة من الظروف بمقدار ما توفره لهم من إمكانية.

بين المثالية والمبدئية

قد يختلط الأمر على الكثير في التفريق بين المثالية والمبدئية، وبين المصلحية والواقعية، فيرونها مترادفة غير أن الصحيح خلاف ذلك.

فالمبدئية في المواقف مطلوبة في كل الأوقات، يعني أن يتخذ الإنسان موقفه في الموقع المعين منطلقا من مبادئه، مع ملاحظة الواقع

ظلت تسوف وتماطل من دون أن تعطي شيئا مهما للناس.
(١) اللهوف في قتلى الطفوف: للسيد بن طاووس، وقريب منه ما في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ دمشق لابن عساكر.

الذي يعيش فيه. فمثلا لو أخذنا صلح الإمام الحسن عليه السلام مثلا، فإنه بحسب الواقع والظرف الذي كان يعيشه الإمام آنئذ يعتبر الموقف المبدئي الممكن والصحيح. وهكذا مواقف باقي الأئمة المعصومين عليهم السلام..

ونفس الأمر نجده في سيرة العلماء والفقهاء والقادة الرساليين المصلحين.

إلا أن ثقافة (تحقيق كل شيء أو لا شيء يستحق) ظلت هي الحالة الغالبة على شيعة أهل البيت عليهم السلام، وجعلتهم في فترات مختلفة من التاريخ، وقود الثورات، حيث حماس التغيير يدفعهم، بينما يأتي غيرهم لكي (يأكل) الطبخة، ويستفيد من النتائج. خصوصا وأنهم لم يكونوا يقبلون في الغالب بأنصاف الحلول، أو الممكن من الأهداف الجزئية والتدرجية.

ومع أن الناس في ما يرتبط بحياتهم الفردية والخاصة، وتحقيق حاجاتهم يكونون واقعيين للغاية، ويتعاملون مع الواقع الخارجي بمقاييسه ومعادلاته إلا أنهم عندما يكون الأمر في قضية عامة، يجعلون الحالة المثالية هي المقياس. فهو لا يرى إلا آخر المشوار، وما لم تتحقق جميع الأهداف، فإنه لا يعتقد أن شيئا قد تحقق!!.

وفي الحقيقة فإن هذا قد أضعاف على شيعة أهل البيت كثيرا من الفرص، وربما كانوا في بعض الحالات على طريقة (أوسعتهم شتما وسار بالإبل)!!.

وينتج عنه أنه بالرغم من وجود الكفاءات العظيمة عندهم إلا أنهم يظنون، يشكون من عدم وجود القيادات، وإنما ذلك لأجل أن مقاييسهم في القيادة المطلوبة مقاييس (مثالية).

والمشكلة أن هؤلاء الناس (المثاليين) يطالبون بمقاييس مثالية في القيادات والكفاءات، ولكنهم لا يكلفون أنفسهم عشر معشار تلك الصفات (المثالية)، فالمقاييس العالية مطلوبة في القادة، أما في الأتباع فهم على حالهم ولا يطلبون من أنفسهم شيئاً، سوى القدرة على النقد السلبي، والاسترخاء للحكم على هذا وذاك بأنه أصاب أو أخطأ!!.

إننا عندما ننظر إلى تاريخ أهل البيت عليهم السلام وتلك الصفات العالية عندهم، والمقاييس الاستثنائية التي تمتعوا بها، نجد أيضاً إلى جانبهم أولئك الأتباع الطليعيين، والمضحكين.. وقد كانوا في درجات مثالية كذلك^(١).

٤ - القدرة على صناعة القيادة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٢).

هذه الآية المباركة تعبر عن أحد التطلعات التي يتطلع إليها عباد الرحمن. وذلك أن أدعية الإنسان تعبر عن حاجته وافتقاره، وتبرز تطلعاته. فمن تطلعات عباد الرحمن أنهم يريدون أن يكون أئمة للمتقين^(٣).

وأول ما ينبغي بحثه هنا:

التفريق بين حب الرئاسة والزعامة، وبين التطلع إلى القيادة، ففيما نجد كما في الآية أن عباد الرحمن يطلبون من الله أن يجعلهم قادة

(١) يراجع كتاب بناء القادة في منهج أهل البيت عليهم السلام للمؤلف، في الحديث عن حواربي المعصومين عليهم السلام وخلص أصحابهم عليهم السلام.

(٢) سورة الفرقان آية ٧٤.

(٣) على أحد تفسيري الآية.

المتقين، وأئمة مسيرتهم، نجد في نصوص أخرى^(١) الكثير من الهمج لب الرئاسة، ولمن يجب الزعامة.

وهذه اللهجة القاسية الموجودة في الروايات تجاه طلب الرئاسة تفسرها روايات أخرى بأنه إذا كان طلبها من غير أهلها ولغرض التروؤس والحالات الشخصية. ولعل قسماً منها ناظر إلى حالات الحكاميين المتسلطين من غير كفاءة ولا شرعية.

ولكن هناك تطلعاً مشروعاً ومطلوباً، وأحياناً قد يكون واجباً، وهو أن يتطلع الإنسان إلى قيادة مجتمع المتقين، هو ينطلق في ذلك من صلاحيته بالفعل، أو (في المستقبل) لكي يتحمل المسؤولية القيادية، ويهدف إلى خدمة مجتمعه، ودينه.

وذلك أن الناس يختلفون في مستوى طموحهم وتطلعهم، فقد يتطلع إنسان إلى أن يكون من المؤمنين، وأخرى أن يكون من خيارهم «وَأَجْعَلْنِي مِنْ أَحْسَنِ عِبِيدِكَ نَصِيباً»^(٢)، وثالثة إماماً لهم وقائداً لجماعتهم بغرض خدمتهم والدفاع عن حقوقهم.. وهذا تطلع مرغوب فيه، بل ربما كان في بعض الحالات واجباً إذا كان منطلقاً من أهله وبغاية خدمة المجتمع.

(١) وسائل الشيعة عن كتاب (الرجال) للكشي بسنده عن معمر بن خلاد قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «مَا ذُبَّانِ ضَارِبَانِ فِي غَنَمٍ قَدْ غَابَ عَنْهَا رُغَاؤُهَا بِأَصْرٍ فِي دِينِ الْمُسْلِمِ مِنْ حُبِّ الرِّئَاسَةِ»، وفي مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ٣٨٣، عن كتاب إثبات الوصية للمسعودي بسنده عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام: «وَأَيَّاكَ وَالْإِدَاعَةَ وَطَلَبَ الرِّئَاسَةَ فَإِنَّهُمَا يَدْعُونَ إِلَى الْهَلَكَةِ».

- ميزان الحكمة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ طَلَبَ الرِّئَاسَةَ هَلَكَ». وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَهُؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ يَتْرَأْسُونَ فَوَاللَّهِ مَا خَفَقَتِ النُّعَالُ خَلْفَ رَجُلٍ إِلَّا هَلَكَ وَأَهْلَكَ».

(٢) كما في دعاء أمير المؤمنين عليه السلام الذي علمه كميلاً بن زياد النخعي المعروف بدعاء كميل.

إن إمام الجماعة في الصلاة أكثر ثوابا من المأموم فيها. والقائد الذي يحقق أهداف دينه في المجتمع أكرم على الله من الشخص الذي ينشغل بنفسه وبحياته الشخصية.

والحديث هنا عن القيادات الاجتماعية ليس حديثا عن رجال الدين، وإنما يشمل أيضا الجهات الاجتماعية، والمفكرين، وقيادات العمل الاجتماعي وكل من يستطيع أن يصنع إضافة في هذا المجال. هناك نقطة أخرى وهي التفريق بين المجتمعات التي تصنع قيادات وتفرضها، وتبرزها ثم تنتفع بها، والأخرى التي تعيق نمو القيادات الاجتماعية، بل وتدفعها لو كانت موجودة. فلنستعرض جانبا من صفات كل من المجتمعين لنرى في أي جانب يقف مجتمعنا الذي نعيش فيه.

صفات المجتمع صانع القيادات

١ - مقياسه في القيادة والإدارة معقولة وليست مثالية:

ويتم المطالبة بها بمقدار ما يحتاج إليه المجال الذي يُدار. فلو فرضنا الحاجة إلى قيادي لفريق رياضي، فهنا نحتاج إلى من يمتلك كفاءة في إدارة النوادي الرياضية، ولكن هذا لو لم يكن عالما بتفاصيل الأحكام الشرعية، أو لم يكن له خبرة طبية فذلك لا يؤثر في إدارته سلبا، ولا يمكن أن يكون عائقا عن قبوله كقيادي لذلك النادي.

وهكذا لو كنا نحتاج إلى قائد عسكري، فهذا لا يتطلب أن يكون عالما بالقضاء، أو أن يكون عارفا بالهندسة أو فقيها، فقد عيّن النبي ﷺ أسامة بن زيد وكان قائدا عسكريا جيدا، مع صغر سنه، وكون غيره أفقه منه على جيش لقتال الروم.

وقد تقول إن ذلك أمر بديهي، ولكنني أقول لك أن المشكلة قائمة في مجتمعنا الشيعي، وهي أن مقاييس القيادة مفصلة على مقدار جسم المعصوم دون غيره، فإذا تحدثنا عن القائد تبادر إلى ذهننا صورة رسول الله ﷺ أو علي بن أبي طالب ؑ.. وهذا صحيح في الإمامة العظمى.

أما في الأمر الاجتماعي، فالمقاييس فيه يجب أن تكون في حدود دائرة الممكن والمتيسر، ففي العمل السياسي، نحتاج إلى مقدار جيد من الإخلاص، والوعي، والأداء الحسن.. ليس أكثر. لكن مجتمعنا إذا أراد قائدا فإنه يطلب قائدا في مستوى السيد بحر العلوم تقى، والشيخ الأنصاري علما.. وأبي الحسن الأصفهاني إدارة.. وهو غير ممكن، لذلك يبقى مثل هذا المجتمع بلا قائد.

٢- أنه مجتمع يشجع المبادرات القيادية، فإذا وجد شخصا مؤهلا (أو قابلا للتأهيل) ولديه حركة باتجاه خدمة المجتمع فإنه يشجعها ويدعمها، ويرشدها، بينما المجتمع الآخر تراه يقبر تلك المحاولات سخرية، واستهزاء.. فتراه يتساءل كيف يكون (فلان) الذي كان يلعب معنا، ومن أترابنا قائدا لنا؟.

انظر إلى المجتمع الجاهلي القرشي، تجد كَمَا كبيرا من الناس، وهناك عدد محدود من الرجال ذوي الأسماء كانوا بمثابة القادة لهم.. نفس ذلك الكم الكبير المهمل الذي كان لا روح فيه، تحول بعد أن بث فيهم الرسول الإسلام، تحول أشخاصه بمن فيهم العبيد الذين كانوا يُساوون بالحيوانات إلى رجال وقادة ورواد. وما ذلك إلا لأن رسول الله ﷺ قد بث في داخلهم الحياة وشجع من يمتلك منهم قدرة وكفاءة حتى

وصلوا إلى ذلك الموضع العالي.

٣- أنه يضع قوته إلى جانب قوة القائد، فتجد لجان المجتمع ومؤسساته، وخبراته واستشارييه في خدمة اتخاذ القرار السليم، المجتمع يضع كل تلك إلى جانب قائده ويرفده بها..

انظروا إلى المجتمعات الغربية!! هل تعتقدون أن شخصا واحدا هو الذي يقود ربع مليار نسمة أو أكثر؟ ويفكر لها، ويخطط لشؤونها؟ كلا.. إنما المجتمع بما فيه من المؤسسات والاستشاريين والهيئات هي التي ترفد ذلك القائد بخبراتها ومعلوماتها فينتج عن ذلك قرارات في مصلحة المجتمع.

مع الأسف ما هو في مجتمعاتنا: عقلية (اللي قال عليه النكال).. فالقائد لا بد أن يعمل كل شيء، يخطط ويثقف ويجمع الأموال ويدير العمل الديني والاجتماعي، بل نحمله مشاكلنا الخاصة أيضا لكي يحلها لنا.

٤- أنه مجتمع يعترف بقياداته المحلية: يشير القرآن إلى أهمية محلية القيادة بالنسبة للمجتمع فيتحدث عن الرسل أنه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(١)، ويعتبر ذلك منة من الله على المؤمنين ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٢).

وهذا ليس أمرا تعبديا وإنما هو أمر عقلائي، لأن هذا النبي

(١) سورة إبراهيم، آية: ٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٤.

يعرف المجتمع الذي كان منه ويعرف مشاكله، وطريقة تعامله فيسهل عليه أمر علاجها..

بينما بعض المجتمعات ترى أنه مادام الشخص ذو الكفاءة منها فلا يساوي شيئاً، وهذه شكوى دائمة من كثير من الأطباء. والعلماء وأصحاب الكفاءات الأخرى.. حيث تحجب الصورة السابقة لذي الكفاءة الصورة الحالية، وبدل أن ينظر إلى وضعه الحالي وشأنه المهم الفعلي تراه ينظر إلى أنه من أسرة متواضعة، أو أنه نشأ نشأة كذائية، أو أنه كان قد تربى معنا في جيل واحد، فلا يمكن أن يتقدم علينا، وهكذا.. ومع الأسف فإننا نجد هذه الظاهرة السلبية (وآد القيادات) في مجتمعنا وهذا ليس من التشاؤم ولا جلد الذات..

وربما كان لبعض تلك الحالات ظروفها التاريخية، مثل التشدد في صفات القيادة الذي كان رداً على التساهل الذي حصل في أمر الإمامة والقيادة لدى بعض الفئات الإسلامية.. وهو صحيح بالنسبة للإمامة الكبرى، لكن المشكلة أنه انجر إلى مجالات الحياة العامة..

فقد تجد أنه يطلب لصلاة الجماعة فقيه مجتهد بينما لا تحتاج صلاة الجماعة إلا للعادل الذي يتقن القراءة مع بعض الشروط الأخرى التي تيسر للأكثر.

لقد ذكر شيخ الطائفة الطوسي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ (١) كلاماً جيداً في كتابه:

(١) ذكره المحدث القمي في الكنى والألقاب، ج ٢، ص ٣٩٤، فقال ما ملخصه: «هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي شيخ الطائفة.. تلمذ على الشيخ المفيد والسيد المرتضى.. كان في بغداد مع استاذيه إلى أن حصلت الفتنة فهاجر إلى النجف وفيها أسس الحوزة العلمية إلى أن توفي سنة ٤٦٠هـ. من كتبه التبيان الجامع لعلوم القرآن و التهذيب والاستبصار. والمبسوط والنهاية، والخلاف والجمل والعقود في

الاقتصاد الهادي إلى طلب الرشاد يقول فيه:

وكل من ولي ولاية صغرت أو كبرت كالقضاء والإمارة والجبابة وغير ذلك فانه يجب أن يكون عالما فيما أسند إليه ولا يجب أن يكون عالما بما ليس بمستند إليه، لأن من وُلي القضاء لا يلزم أن يكون عالما بسياسة الجند، ومن ولي الإمارة لا يلزم أن يكون عالما بالأحكام، وهكذا جميع الولايات، ولا يلزم أيضا أن يكون عالما بصدق الشهود والمقرين على أنفسهم، لأنه إنما جعل إماما في الحكم بالظاهر دون الباطن.

وقد هوّن الإسلام مسألة القيادة (الاجتماعية) وحاول أن يربي المسلمين على إفراز القائد من بينهم، فسنّ الجماعة في الصلاة حضرا وسفرا، وجعل الإمارة والقيادة أمرا يسيرا، فإذا سافر جماعة «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»، و«إذا كنتم ثلاثة في سفر فليؤمكم أحدكم وأحقكم أقرؤكم»^(١).

وينبغي الإشارة هنا إلى بعض الحالات النفسية التي تمنع قبول بروز القيادات في المجتمع: قد يكون منها الحسد المبطن، والتنافس غير الشريف، فتجد البعض حين يرى إنسانا قد توجهت الأضواء إليه،

العبادات، والعدة في أصول الفقه، والفهرست، وكتاب الرجال، واختيار معرفة الرجال، والمفصح في الإمامة، والغيبة في إثبات غيبة صاحب الزمان، وله أيضا مصباح المتهجد.. وغيرها من الكتب».

(١) الأحاديث عن رسول الله ﷺ من ميزان الحكمة للري شهري، ويلاحظ فيها تسهيل اتخاذ الأمير في السفر وهو حالة اجتماعية بين مجموعة، والمقصود كنتم ثلاثة فصاعدا لا أنه ثلاثة لا تزيد ولا تنقص.. ويضاف إلى ذلك أنه قد استفاد منها أن التطلع لقيادة هذه المجموعة لما كان طبيعيا، ومشروعا، وكان محلا للتنافس فقد ذكر هذا الحديث، ميزانا وهو الأقرأ في الصلاة. باعتبار أن هذه الجهة هي المطلوبة في الصلاة. وطبعا لا يمنع ذلك من ثبوت بعض الصفات الأخرى لجواز الائتمام من أحاديث أخر مثل: صل خلف من تثق بدينه.. وغيره من الأحاديث المذكورة في باب صلاة الجماعة.

وأصبح موضع قبول عامة الناس، وهو يتحرك وينجح في نشاطاته..
بينما هذا الطرف الثاني يعتقد أنه أفضل منه وأولى بهذا الموقع، فيحسده،
ويتحرك ضده، بالطبع لا يقول أنني أحسد فلانا، ولكن ذلك يُعرف
من خلال ما يصدر من تعليقات.. فيقول مثلا لبعض من يمدحه: هذا
عميل، وهذا نيته غير صالحة.. الخ.

شتان بين الموقفين

بين ما يُنقل في التراث العربي بين الأصحاب من الصفاء والسمو
وبين مثل هذه النماذج: وأنقل لك حادثتين:

نقلوا أنه كان بين حاتم الطائي وأوس بن حارثة أفضل ما يكون
بين اثنين، فنُقل ذلك للنعمان بن المنذر فقال النعمان لجلسائه: والله
لأفسدن ما بينهما!!..

قالوا: لا تستطيع..

فلما دخل عليه أوس قال له: أسمعت ما يقول حاتم؟ قال: وما
يقول؟.

قال يقول: إنه أفضل وأشرف!.

قال: آبيت اللعن صدق! والله لو كنت أنا وولدي لأنهبنا في مجلس
واحد! (يعني سمح لنا بأن نأخذ كل ما في بيته).

ثم دخل حاتم فقال له مثل مقالته لأوس.

فقال حاتم: صدق أين عسى أن أقع من أوس؟!، له عشرة ذكور،
أخسهم أفضل مني.

- ومثل ذلك ما يُنقل من قصة الشيخ البهائي^(١) والسيد الداماد^(٢)، فإنهم يذكران أنهما كانا قد خرجا مع الشاه الصفوي (الشاه عباس) وكان السيد الداماد عظيم البدن هاشمي الطول والهيكل بخلاف الشيخ البهائي الذي كان صغير الجثة.. فنظر الشاه الصفوي إلى كل منهما وقد ركب فرسه، وكانت فرس السيد الداماد تتحرك ببطء، نظرا لثقل بدن السيد الداماد، فأسرّ الشاه القول للشيخ البهائي: ألا تنظر إلى هذا السيد كيف أهلك الفرس بضخامة جثته؟ وألم يكن الأنسب أن يكون نحيف البدن؟ فقال له الشيخ البهائي: يا أيها السلطان لا هذا الفرس ولا غيره

(١) الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجبعي العاملي الهمداني الحارثي: (٩٥٣-١٠٣١هـ)، بهاء الدين: عالم أديب إمامي، من الشعراء. ولد ببعلبك، وانتقل به أبوه إلى إيران. ورحل رحلة واسعة، ونزل بأصفهان فولاه سلطانها (شاه عباس) رئاسة العلماء، فأقام مدة ثم تحول إلى مصر. وزار القدس ودمشق وحلب وعاد إلى أصفهان، فتوفي فيها.. (الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٦، ص١٠٢).

ذكره في الكنى والألقاب، قال: «مجدد المذهب على رأس المائة الحادية عشر، انتهت إليه رئاسة المذهب والملة له تصنيفات وتأليفات متعددة، منها جبل المتين، ومشرق الشمسين والأربعين، والجامع العباسي، والكشكول، والمخلاة، والعروة الوثقى، ونان وحلوا والزبدة، والصمدية، وخلاصة الحساب، وتشريح الأفلاك، والرسالة الهلالية، ومفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة، والاثني عشريات، والتهذيب، والخواشي على الفقيه وعلى خلاصة الرجال، وعلى الكشاف والبيضاوي وغيرها».

(٢) ذكره في معجم المطبوعات العربية والمعربة ج ١ ص ٨٦٠: فقال: الداماد (ت ١٠٤٠هـ) شمس الدين محمد باقر بن محمد الحسيني الاسترآبادي الشهير بداماد كان من أجلاء علماء المعقول والمشروع وأذكياء نبلاء الأصول والفروع. قاطنا بدار السلطنة أصبهان مقدما على فضلائها الأعيان مقربا عند السلاطين الصفوية بل مؤدبهم بجميل الآداب الدينية. وكان شاعرا بالفارسية والعربية. من مصنفاة في الحكمة القبسات والصراط المستقيم والجبل المتين وفي الفقه شارع النجاة ومن مؤلفاته كتاب عيون المسائل ونبراس الضياء وخلصه الملكوت وكتاب الرواشح السواوية والسبع الشداد. وغير ذلك: ذهب في آخر عمره من أصبهان إلى زيارة العتبات العاليات فمات هناك.

يستطيع أن يحمل مثل السيد الداماد، بل لا تستطيع الجبال أن تحمل ثقل علم رجل هو أعلم أهل الدنيا، فكيف بالفرس!!.

فابتعد عنه قليلا وقصد السيد الداماد وأسر إليه قائلا وكانت فرس الشيخ البهائي تتحرك بسرعة وبها يشبه القفز: ألا ترى الشيخ كيف يقفز بالفرس ويتحرك به هكذا.. وهو مما لا يناسب العلماء!.

فقال: لقد فاتك الأمر أيها السلطان فإن الفرس لما علمت أن راكبها الشيخ البهائي وهو أعلم أهل الأرض، فهي تقفز فرحا، بل يحق لها أن تطير سرورا!!.

ولم يعلم أي من العلمين ماذا دار بين كل منهما وبين الشاه، فنزل الشاه عن فرسه وسجد لله شكرا، لما رأى ذلك الصفاء والود القلبي بين العالمين.

وقد يكون من موانع بروز القيادات، الانطلاق من الحالات الفئوية والحزبية، فترى البعض يرى أن العمل الكذائي جيد، ولكنه لما كان من فلان فإنه يصبح سيئا!!.

وإن من المهم أن نظهر مجتمعنا من هذه الحالات، ونسعى لكي يكون مجتمعنا فاعلا، متحركا، يرصد المبادرات الطيبة، ويشجع عليها، ويرفد قياداته بما ينفعها ليتنفع بها.

— |

| —

— |

| —

مصادر الكتاب

بعد القرآن الكريم

- ١- بن أبي طالب، الإمام علي: نهج البلاغة، دار الذخائر قم ايران ١٤١٢ هـ.
- ٢- أحمد، معتصم سيد: الحقيقة الضائعة، نسخة الكترونية.
- ٣- آل سيف، عبد العلي: مقال في مجلة الواحة، العدد: ٣٥.
- ٤- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، دار التعارف بيروت.
- ٥- جراهام أي، فولر و رند رحيم: الشيعة العرب المسلمون المنسيون، (فارسي)، دار أسوة قم ايران.
- ٦- البراقبي، حسين النجفي: تاريخ الكوفة، المكتبة الحيدرية قم ايران ١٤٢٤ هـ.
- ٧- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت.
- ٨- البلادي، علي: أنوار البدرين، مطبعة النعمان، النجف ١٣٧٧ هـ.
- ٩- البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، دار الفكر بيروت.
- ١٠- تويال، فرانسوا؛ الشيعة في العالم: صحوة المستبعدين، دار الفارابي بيروت ٢٠٠٧ م.
- ١١- جعفریان، رسول: تاريخ الشيعة في ايران، دار به نشر مشهد ايران، ١٤٢٠ هـ.

- ١٢- الحر العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، مكتبة الآداب النجف العراق.
- ١٣- بن حنبل، احمد: مسند احمد، دار صادر، بيروت.
- ١٤- الري شهري، محمدي: ميزان الحكمة، دار الحديث قم ١٤١٦ هـ.
- ١٥- زيب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، دار الأمير بيروت ١٤١٣ هـ.
- ١٦- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين ١٩٨٠ م.
- ١٧- سر كيس، يوسف اليان: معجم المطبوعات العربية، مكتبة المرعشي قم ١٤١٠ هـ.
- ١٨- السيف، توفيق: مقال في مجلة الكلمة العدد (٥٩) ربيع ٢٠٠٨ م.
- ١٩- ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية النجف ١٩٥٦ م.
- ٢٠- الصدر، حسن: تكملة أمل الآمل، مكتبة المرعشي قم ١٤٠٦ هـ.
- ٢١- ابن طاووس، علي بن موسى: اللهوف في قتلى الطفوف، أنوار الهدى ١٤١٧ هـ.
- ٢٢- الطبري، ابن جرير: تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي بيروت ١٤٠٣ هـ.
- ٢٣- الطريحي، محمد سعيد: ملوك حيدر آباد، أكاديمية الكوفة في هولندا ١٤٢٦ هـ.
- ٢٤- الطريحي، فخر الدين: مجمع البحرين، مكتب نشر الثقافة الإسلامية قم ايران ١٤٠٨ هـ.

- ٢٥- الطوسي، محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال، مؤسسة آل البيت لآحياء التراث، قم ايران ١٤٠٤ هـ.
- ٢٦- الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٩٠ هـ.
- ٢٧- الطوسي، محمد بن الحسن: رجال الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي قم ايران ١٤١٥ هـ.
- ٢٨- الأمين، السيد محسن: خطط جبل عامل.
- ٢٩- ابن طيفور: بلاغات النساء، مكتبة بصيرتي قم.
- ٣٠- العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري، دار المعرفة بيروت.
- ٣١- عزب، خالد: الكوفة مدرسة العلم الأولى: موقع الكروني (www.islamonline.net).
- ٣٢- العوامي، السيد عدنان: مقال بعنوان القطيف.
- ٣٣- القرشي، باقر شريف: النظام السياسي في الإسلام، دار التعارف بيروت ١٣٩٨ هـ.
- ٣٤- القمي، عباس: الكنى والألقاب، مكتبة الصدر طهران.
- ٣٥- الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٨ هـ.
- ٣٦- المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء بيروت ١٤٠٣ هـ.
- ٣٧- محمد، أويس كريم، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، مجمع

البحوث الإسلامية مشهد.

٣٨- المدني، علي ابن معصوم، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، مكتبة بصيرتي ١٣٩٧هـ.

٣٩- المعرفة، مجلة (الالكترونية) بتاريخ ٢ / ١ / ١٤٢٨هـ.

٤٠- موقع الجزيرة نت.

٤١- المهاجر، جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية، دار المللك بيروت.

٤٢- الميانجي، علي الأحمد: مكاتيب الرسول، دار الحديث قم إيران ١٩٩٨م.

٤٣- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، أدب الحوزة قم ايران ١٤٠٥هـ.

٤٤- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٦هـ.

٤٥- ميرفان، صابرينا: حركة الإصلاح الشيعي: علماء جبل عامل وأدباؤه، دار النهار ٢٠٠٣هـ.

٤٦- النزر، خالد: قبيلة عبد القيس تاريخ وأجداد، موقع أقلام نت.

٤٧- نصر، ولي: صحوة الشيعة، دار الكتاب العربي بيروت ٢٠٠٧م.

٤٨- نقاش، اسحاق: شيعة العراق، المكتبة الحيدرية، قم ايران، ١٤١٩هـ.

٤٩- الوائلي، أحمد: هوية التشيع، نسخة الكترونية.

٥٠- ويكيبيديا، موسوعة موقع الكتروني

* اعتمدنا في كثير من الكتب المطبوعة على النسخة الموجودة في برنامج (مكتبة أهل البيت) الذي أصدره مركز المعجم الفقهي.

* للتواصل مع المؤلف: www.al-saif.net